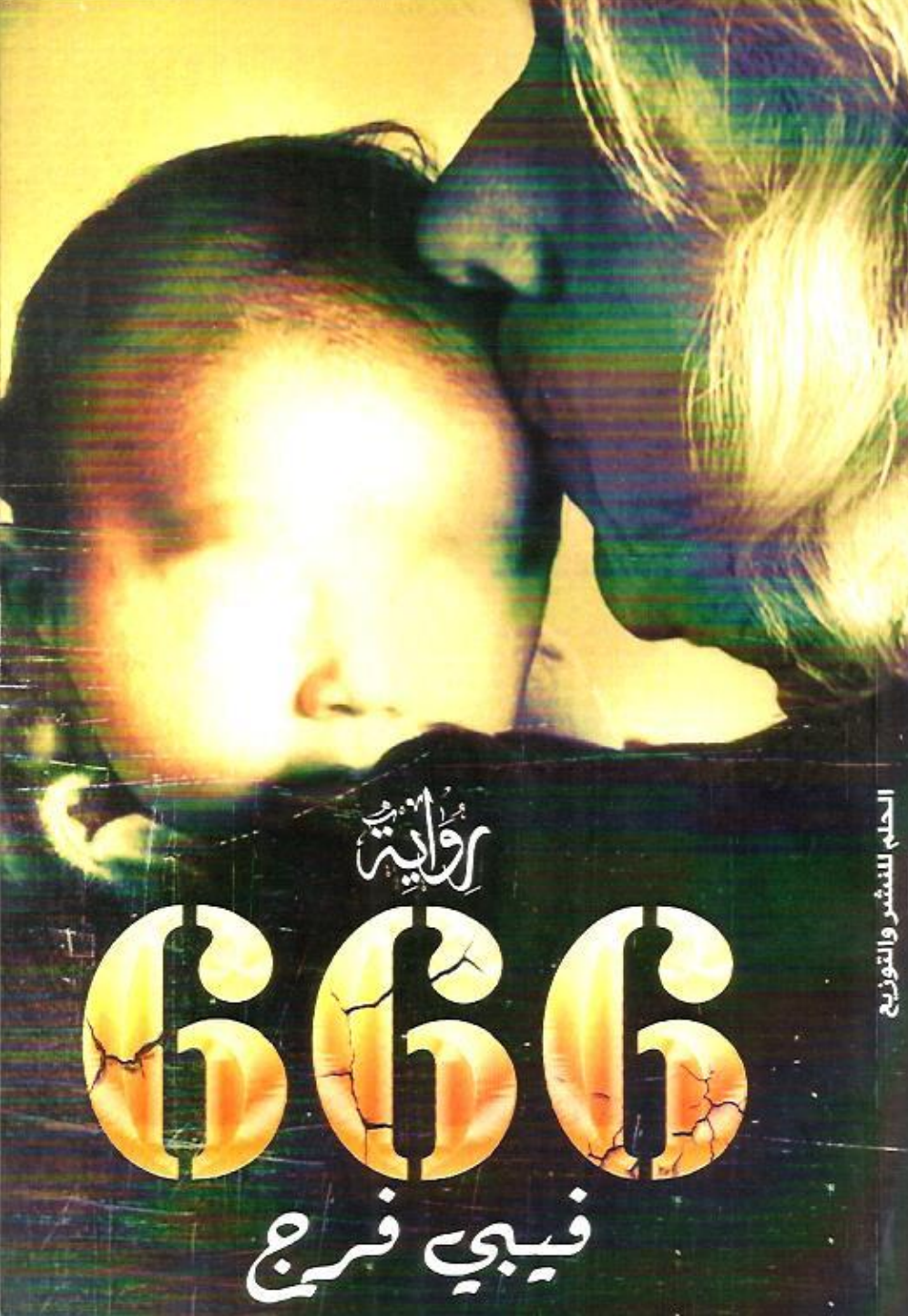
رواية
666
فيبي فرح
الحلم للنشر والتوزيع

666

٦٦٦

رواية

فيبي فرج

الطبعة الأولي .. يناير ٢٠١٥

دار الحلم للنشر والتوزيع

٤ شارع الأشراف من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة

موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢

dar_el7elm@hotmail.com

المدير العام : د. إسلام فتحي

تصميم الغلاف : أسامة علام

اخراج داخلي : الحـلم للدعاية والاعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢١٦٣١

الترقيم الدولي : 978-977-6412-85-9

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

فيبي فرج

# 6 6 6

ωδέ η σοφία εστίν; ο έχων νουν ψηφισάτω τον αριθμόν του θηρίου; αριθμός γαρ ανθρώπου εστί; και ο αριθمός αυτού χξ

هُنا الحكمة ! مَن لهُ فَهم فليحسبْ عددَ الوحش , فإنَّهُ عدد إنسانٍ وعدده : سِتّمائة وستة وستون .

رؤيا يوحنا ١٣:١٨

أي ظلمةٍ أعيشها بعيدًا عنكَ ,
لقد تمنيت سكون الروح ,
واسترخاء الجسد في دفء جلْستكَ ,
دعني أُقبل يديكَ ,
وألقي برأسي على كتفيكَ المُباركتين . آه
كم تغمرني السعادة حينها ,
إنني لا أنشد من الحياة غير أن أنام أبدًا على صدركَ
وبين ذراعيكَ .. أي غِبْطة أعيشها وأنتَ قربي ! ...
أين أنتَ ؟. أين ذهبتَ ؟. عجل إليَّ خُطاكَ
فقد أعْياني صبري وسلواي أن أرقب خُطاكَ .

**ألكسندرا .. إمبراطورة روسيا**

**١٨٩٥ _ ١٩١٧**

# السرّ

## ١٢ أكتوبر ١٩٩٢
## الساعة الرابعة عصرًا

حي راقٍ, تخرج مهرولة من منزلها ضاربة بكُلِّ شيءٍ عرض الحائط ... لا ليس هربًا من بيت الزوجية لكن هرعًا من الزلزال المدمر, خرجوا جميعًا يحتمون بخواء الشارع الذي انعدم مع تدافع حشود البشر .

دقائق قليلة وتنتهي دهشتهم ويعود كل حي صوب ماضيه .. تعود هي أيضًا فتجد باب شقتها مغلقًا !!. كيف ستعود للداخل ؟.

خيبة أمل, ضاعت أحلامها في استلقاء مريح فوق سريرها الوثير بعد أن أصابها الهلع من الهزة المدمرة .. زلزال بقوة ٥,٨ درجة بمقياس ريختر !!.

مُطأطأة الرأس عاودت النزول بملابسها المنزلية لا تعرف إلى أي صوب تتجه ! .. لماذا لم تنتظر عند إحدى جاراتها لحين عودته من العمل ؟. خرجت للطريق بلا وجهة محددة .. الشوارع عادت لهدوئها، وكف عنها الصخب السابق .. صوت يأتي من بعيد .. تطيل الإنصات له .. يا الله !! صراخ طفل صغير .. تعجلت خطواتها بخُفِّها المنزلي ذو الريشات الحمراء صوب مصدر الصوت .. عثرت عليه .. خلف صندوق قمامة كبير وجدته, المكان نظيف لأن الحي راقٍ وعامل النظافة يأتي يوميًا يحمل عن الحي نفاياته , لكن المنظر جعلها تشفق على هذا المخلوق الضعيف, حملته سريعًا بحنان مختزن بداخلها منذ أكثر من عشر سنوات زواج بلا إنجاب حتى أنها فقدت الأمل تمامًا وكفت عن البحث وراء الأطباء عن سُبل

العلاج .. أخذته والتفتتْ يمينًا ويسارًا لم تجد أحدًا؛ فرفعت طرف ثوبها القطيفة الأحمر ولفَّتْهُ جيدًا، وهدهدتْهُ إلى أن كف عن البكاء وغاص في نومٍ ملائكيٍّ عميق .. يبدو أن الزلزال أفزعه هو الآخر أو ربما الوحدة !!.

عادت لمنزلها تحمل الطفل بعدما انتظرت قليلًا كي تضمن عودة زوجها من العمل .. دقت جرس الباب ففتح لها وهو مازال بملابس العمل وكأنه كان يستعد للنزول للبحث عنها, سرعان ما تحولت ملامح وجهه القلقة إلى الدهشة والذهول ....

- ما هذا ؟.
- ما بك يا إبراهيم ؟.
- وفاء ...!!.

يحدق بها فاغرًا فاه, بدأ الغضب يعلو وجه إبراهيم أو ربما الحيرة. قضب جبينه وعقد ذراعيه فوق صدره صامتًا ينتظر من وفاء تفْسيرًا .. أين كانت بملابسها المنزلية ؟. ومن أين لها بالطفل الذي تحمله بين ذراعيها بحنان الأمومة الظاهر فوق ملامح وجهها الذي أضاء نورًا باحتِضان هذا الطفل الغريب ؟.

نظرتْ إليه فقرأتْ بعينيه كل تلك الأسئلة دون أن يَنْبِس .. فشرعتْ تقصُّ عليه الأحداث منذ بداءة الذعر والفوضى التي أصابت أهل الحي إثر الزلزال، وكيف عادت لتجد باب الشقة مُغلقًا !، وهي لا تحمل مِفتاحًا فهرولت دون وعي تمشي في الحي بعدما أصابه السكون، وكيف ترامى لسمعها بكاء الطفل لتجده متكومًا خلف صندوق القمامة الكبير بأول الحي مُتدثِّرًا بثوب من الدانتيلا الروز يبدو أنه لوالدة الطفل .. لم تنتظر ظهور من يسأل عنه, يبدو أن الأم تخلصت من فضيحتها مستغلة الفوضى

التي أحدثها الزلزال ... الطفل صغير جدًّا عمره لا يتعدى الشهر هدهدته فنام آمنًا في حضنها, هي تحتاجه بشدة, وهو أيضًا يحتاجها أُمًّا له، ويحتاج إبراهيم أن يكون له أبًا حنونًا !!.

- لقيط ! أكيد أنك جننتِ ! .. رفضت التبني لأربي لقيطًا !
- لماذا ؟ إبراهيم هذا الطفل هديـ/ـة ..

قاطعها

- أية هدية هذه ؟.

صمت ...

كيف يغضب أو يثور وهو يرى النور ينبعث من حدقتيها مُعلنًا الانتصار آخيرًا على عجزها !!.

هي أيضًا لم تستطع الرد .. ماذا تقول ؟. هي في أمس الحاجة لهذا الطفل لن تتركه أو تتخلى عنه تحت أية ضغوط !. هي لم تسعَ له ..، بل الصدفة والقدر وحده رمى بها في الطريق لتجده ويجدها وتزرع به البهجة في حياتها المُقفرة دون عناء أو تفكير ..

هكذا نفكر كثيرًا في حلول فلا نجد، وفجأة يفصح الكون لنا عن الحل عندما نتوقف عن البحث فتبتسم الحياة !

حالة من التخبط الفكري أصابت إبراهيم لم يعرف بماذا يجيب !, حمل حاله وهرول خارج المنزل دون أدنى تخطيط لا يعرف إلى أين يتجه ؟, ظل تائهًا في الشوارع المحيطة إلى أن وصل لشارع يمتلئ بالملاهي الليلية, لم يميز شيئًا من شدة أضوائها, كان مشدوه وكأن صوتًا ما يناديه من

الداخل .. دلف إلى أحدهم دون تفكير .. جلس على البار وبدأ في الشرب كأنه يستعيد مشهدًا من فيلم عربي قديم , استمر هكذا حتى عاد للبيت مخمورًا قُرب الفجر ..

في تلك الأثناء اتصلت وفاء بصيدلية قريبة وطلبت منها لبن أطفال حديثي الولادة وزجاجة رِضاعة وبُدْرة أطفال وزيت وحفاضات صغيرة الحجم لتُحمِّم الطفل وتطعمه ... خلعت عن الطفل ملابسه فتأكدت أنه ولد عيناه ملونتان بلون أزرق أقرب للرمادي وبشرته بيضاء ناصعة, بدأت تصب الماء الدافئ فوقه فبدا لها الماء ينساب فوقه بشكل عجيب كأنه لم يلمس بشرته ! كررت صب الماء فانزلق سريعًا فوق بشرته هاربًا نحو فتحة صرف الحوض .. تعجبت قليلًا لكنها طردت أفكارها فربما دهنته أمه بزيت الأطفال فلم تتقبل بشرته الماء !!. قطعَ أفكارها صوت الجرس فدثَّرتْه سريعًا بالمنشفة ووضعته على حافة السرير، وأخذت حافظة النقود وخرجت سريعًا لتفتح الباب, أكيد أنه عامل التوصيل من الصيدلية .. أخذت منه الطلبات ودفعت ثمنها ودخلت سريعًا لتجد الطفل ألقى بنفسه من فوق السرير ! فزعت لمنظره ولامت نفسها ... حملته من فوق الأرض لكنه لم يبكِ !! احتضنته وألبسته مِعْطفًا من ملابس إبراهيم بعد أن لفته بالبُدْرة والزيت وألبسته حفاضًا نظيفًا .. كان منظره في المِعْطف الواسع جميل وكأنه جلباب من الصوف .. دخلت الحمام مجددًا لتغسل وجهها كي تفيق من الفزع لكن الفزع زاد حين وجدت الحوض مسدودًا بالسدادة وقد أحال الماء المتراكم فيه للون عكر ! مدت يدها داخله بخوف وشدت السدادة سريعًا انساب الماء من فُتْحة الصرف , غسلت وجهها بالماء فقط دون صابون خوفًا من إغلاق عينيها فقد أصابها كم هائل من الذعر ..

كوَّمتْ ملابس الطفل بجوار حوض الاستحمام .. وحضرت له وجبة حليب الأطفال بعد أن قرأت التعليمات المكتوبة على العُلبة بدقة .. أسرعت إليه لترضعه .. لقِف حَلمة الزُّجاجة بين شفتيه وأخذ يمتص اللبن بنهم وهو يسند كفه فوق ثديها .. شعرت بهرمونات جسدها تتغير, استيقظت بداخلها هرمونات الأمومة .. بينما الطفل ينام قطر ثديها سائل شفاف بلل قميصها المنزلي الرقيق .. وضعت الطفل بهدوء فوق السرير وجلست تبكي من قوة المشاعر المتضاربة التي تجتاحها .... !

ظلت تحدق في ملامح الطفل النائم وعينيها لم تتوقف عن رقرقة الدموع في صمت .. إلى أن سمعت صوت مِفتاح يولج بباب الشقة خرجت بهدوء تراقب الموقف فوجدت إبراهيم قد عاد يترنح على غير عادته .. قميصه وعنقه ملطخ بحُمرة شفاه فجة اللون .. وقفت من بعيد ترمقه متعجبة لحاله و
هو يلقي بجسده فوق الأريكة .. تركته وتكوَّمتْ بحجرتها بجوار الطفل تكمل انهيارها متصنعة الهدوء ..

تقوَّست كالطفل في وضع الجنين وغَفَتْ قليلًا بجوار الملاك النائم .. وجهها مُنتقع بملح دموعها, أيقظتها أنامل الطفل حين لامس خدها, تبسمت له وكأنها تحاول تذكر أحداث الأمس فأثارت ابتسامتها إحساس بتشقق في جلد الوجه أثر جفاف الدموع فوقه .. قامت تغسل الملح عن وجهها فوجدت ملابسه التي كوَّمتها بجوار حوض الاستحمام أمس, أخذت تتفحص الثياب, تبدو جميلة بلونها الأصفر القطني الناعم والشال الدانتيلا الروز يبدو أنه لوالدة الطفل .. ما هذا ! وقعت عينيها على قلادة مشبوكة بالشال على شكل قلب مغلق فتحته بصعوبة, على إحدى

وجهيها صورة لراهب مخيف النظرة وعلى الوجه الآخر امرأة شابة حادة الملامح في ثوب استعراضي .. صورتان بالأبيض والأسود محفور أسفلهما تاريخين (١١سبتمبر) على وجهٍ وعلى الوجه الآخر (١٧ديسمبر) !! .. أغلقت القلادة ودستها بصدرها وحضرت وجبة الحليب على عجل وعقلها لم يكف عن التفكير .. ماذا تعني صورة الراهب على القلادة أهذا المولود لأسرة مسيحية!!. لا يهم شيئًا فهو ابني الآن وأنا من سأعلمه كل شيء، كل شـــــــيء ..

استيقظ إبراهيم من نومه يشعر بالوغز في كل أنحاء جسده .. نظر لساعته, تأخر عن موعد عمله .. خرج مسرعًا دون أي حديث مع وفاء بنفس بذلته وذقنه المنبتة، أشعث الرأس وتحت عينيه ظلال سوداء .. سمعت وفاء صوت الباب يُغلق بعنف, نظرت مباشرة نحو الأريكة وأدركتْ أن إبراهيم قد رحل ... دون أن يَنْبِس .. شعرت بغصة في حلقها ما الذي حل بهما فجأة !! أهو الطفل نقمة عليهما .. ؟ لم تكن الأحوال بينهما يومًا على هذا النحو من الجمود إطلاقًا حتى في أعتى الخلافات .. لماذا يصر إبراهيم على قتل فرحتها الوليدة بالطفل الجديد الهادئ .. ؟.
أخرجت القلادة التي دستها بصدرها وحدقت بها مفكرة .. ربما يكون الرجل ذو الرداء الأسود بالصورة جدّ الصبي ! ربما مجرد رجل عادي يرتدي الزي الأسود وليس رجل دين كما اعتقدت فلا يظهر من قلادته المُتدَلِّية فوق صدره سوى السلسلة اللامعة فقط وباقي القلادة مخفية بين أزرار ردائه الأسود .. ربما هو مجرد رجل كهل في ثوب أسود !!

لا ضرر إذن, سأحتفظ بهذه القلادة للصبي فهي ملكه وهي حقه !

# طبيعة ذكورية

استمر الحال على ما هو عليه , إبراهيم يعاني نفور غير مبرر من البيت المقتحم بدخيل جديد, يقضي معظم نهاره في العمل ويعود لينفق ساعات الليل وماله بين السهر وشرب الخمر في الملاهي الليلية, مع أنه لم يعتد ذلك فيما سبق, كان يعشق أركان البيت ويعشق الجلوس بحضرة حبيبته وفاء, يرتاح فوق صدرها من عناء نهارٍ عامرٍ بالعمل الشاق .. كان يجد في الجلوس والحديث معها راحته ومتعته الوحيدة .

كطبيعة كل الذكور يكرهون أي شيء يحتل إناثهم, طبيعة طفولية أنانية نربي عليها أطفالنا دون أن ندري .. طبيعة مجتمعاتنا الشرقية, الاستحواذ, فالألعاب حتى لو كُسرت وأصبحت غير صالحة للعب يظل الطفل محتفظاً بها كقطعة خردة مع استمرار البحث عن ألعاب جديدة ليكسرها .. كان يُفضل أن يرى كائن من صلبه, جزء من كيانه كي ينشأه على نفس شاكلته, طفل مدلل يمتلك لعبة حين يكبر ويتحكم بمصيرها إلى أن يتركها بصندوق يحتوي على ألعابه القديمة الغير مجدية !! يكره أن تهب وفاء وقتها لشيء ليس منه .. حتى وإن كان مجرد طفل بريء .. فهل هو بريء بالفعل ؟. هل كان بريء حين اقتحم حياتهما بهذا الشكل المفاجئ ؟ أم أنه نقمة أتت لتعكر صفو حياتهما الرتيب ؟! نقمة حلت به لتغير منظومة الاستحواذ الكامل التي اعتادها !!.

بالفعل تحول إبراهيم للعبث بالدمى الأخرى, يبحث عن ألعاب جديدة لم يجربها من قبل , ألعاب مؤقتة ! ثمة ملء أوقات أفرغها الطفل الدخيل بوجوده في حياة أنثاه ... مع عدم تقصيرها فهي لم تنشغل عنه بل أنهما لم يتحدثا عن الوضع الجديد من الأساس, ربما كبريائه جعله يرفض المكوث بالبيت ليجرب هل انشغلت عنه ! فقط أصدر حكم افتراضي من وحي خياله الذكوري الطفولي المريض بانصرافها عنه فانصرف هو يبحث عن تسلية لوقته .. !

انغمس إبراهيم في اللهو, تعرف على راقصات الملاهي الليلية التي بات يتردد عليها كل ليلة بلا انقطاع فتيات أجنبيات يتكلمن بلغة عربية ركيكة بطريقة تثير المرح و الفضول .. تسلى معهن وشرب كل أنواع الخمور .. أنفق راتبه بل أكثر من ذلك بدأ يفرغ حصيلة مدخراته, تعب السنوات الماضية التي ساهمت وفاء بتدبير نفسها وبيتها لتوفيره من راتبه الشهري تحسبًا للمستقبل الذي قد يكلل مشوارهما بمولود يستحق كل هذا العناء.

تلك التي تترفَّل في ثوب روز كلما أقبلت نحوه تذكر كومة اللحم التي دخلت عليه وفاء وهي تحتضنها يوم الزلزال, نظراته التي لم تفارق خياله من أول مرة التقت بعينيه, كانت الأكثر تقرُّبًا له والأكثر مرحًا وكلامًا ..كان الكلام ينهمر من فمه بعد شرب الخمر لا يدري عما تحدث أو كيف, وكان في غاية الارتياح لعدم درايته بشيء مما يحدث له أو يقوله أثناء تغيب عقله بعد كأسين من الخمر .

أما وفاء فقد صبت كل اهتمامها بالطفل وانشغل تفكيرها باختيار اسم له وتسجيله بالسجلات الرسمية, لكن كيف ستخبر إبراهيم بهذا الموضوع الشائك وهو الذي لم يتحدث إليها منذ هلَّ الطفل بالبيت واستلَّ الأمومة الصدئة من غمدها ... سيف ... ! هكذا اختارت له الاسم ..

لابد من سرعة تسجيل الطفل , ذهبت وفاء بالطفل وعقد الزواج وفاتورة كهرباء باسم زوجها, إلى سجل مدني بأحد الأحياء الشعبية الفقيرة كان هو منبت جذورها حيث لن يهتم أحد هناك بتفاصيل الولادة فمعظم النساء ينجبن في بيوتهن دون أوراق موثقة من طبيب أو مشفى .. إضافة إلى ذلك أن بطاقة وفاء الشخصية من نفس السجل المدني التابعة له هذه الوحدة الصحية, لكن هناك مشكلة ..... بأي تاريخ ستسجل الطفل ! تذكرت التاريخ المحفور فوق القلادة بل هما تاريخين .. لابد أنه التاريخ الأول (١١سبتمبر) فعمر الطفل لم يتجاوز الشهر ..

في مكتب الصحة أمام الموظف كانت وفاء تحمل الطفل النائم فوق كتفها الأيسر وباليد اليمنى تحمل الأوراق تقدمها له .. أخذ الموظف الأوراق وبدأ في كتابة الإخطار لإصدار شهادة ميلاد ابتدائية للطفل «تاريخ الميلاد ؟ « سألها فجاوبته دون تردد ١١ سبتمبر .. نظر لها من أعلى زجاج نظارته الغليظة ..

- اليوم ١٥ أكتوبر والقانون ينصّ على تسجيل المولود عقب ولادته بمدة لا تتجاوز الأسبوعين !.

- أرجوك عذرًا فوالده مسافر بالخارج ولم أتمكن من الحضور لتسجيله لأسباب صحية .

بدأ صوت الموظف يحتدُّ بنبراته الغليظة المزعجة فأيقظ الطفل, ترك كتف وفاء فسارعت بسند ظهره قبل أن يسقط فتطايرت الأوراق من يدها وانفجر الطفل في البكاء, تلبس الموظف إحساس بالذنب فأخذ يجمع الأوراق من فوق المكتب ويكتب له بيانات الشهادة على عجل.

- الاسم ؟

- سيف ... سيف إبراهيم كمال المنسي ....

خرجت من مكتب الصحة تحمل الطفل بيد وشهادته باليد الأخرى تتضارب المشاعر داخلها, ها الطفل الآن أصبح لها بأوراق رسمية، أما إبراهيم فكيف ستواجهه بحقيقة ما فعلت ؟!!.
فكرت بالأمر كثيرًا, لم تجد الشجاعة داخلها كي تواجهه وتخبره أنها سجلت الطفل باسمه دون علمه ! كيف ستخبره إذن ؟ .. مرت الأيام , انقضى شهرين ولم تخبره, إبراهيم يدخل ويخرج من البيت دون أن يَنْبِس ببنت شفه .. يختلس النظر لوجه الطفل كلما سنحت له فرصة للدخول لغرفته ليأخذ بعض الثياب النظيفة, يتذكر تلك الراقصة ويتذكره كلما رآها, فكرت وفاء ولم تجد حلًا لتخبره سوى أن تكتب له رسالة صغيرة تعترف بها أنها قامت بتسجيل الطفل وتدسها في جيبه، حين يعثر عليها سيتفهم الأمر .. وبالفعل هذا ما فعلته وفاء ليلة ١٥ ديسمبر ..

لفت الورقة بعناية داخل الأوراق المالية دون أن ينتبه إبراهيم, قريبًا جدًا سيعثر عليها مع أول مبلغ سيدفعه .. غادر إبراهيم المنزل بعد أن تحمَّم ليغسل عن كاهله تراب الكون وارتدى ملابسه النظيفة التي أعدها فوق السرير بجوار الطفل الدخيل, هرب إلى عالمه الخاص , إلى الصخب والخمر والراقصات , بعدما اكتملت سهرته أخرج من جيبه الأوراق المالية ليدفع فاتورته, انزلقت ورقة وردية من جيبه دون أن يدركها ..

التقطت الورقة من الأرض بعدما أخفتها بحذائها الفضي إلى أن يرحل إبراهيم .. حدقت بالورقة الوردية وبالخط المنمق المكتوب بقلم أحمر لم تفهم شيئًا, دارت حول نفسها في نفس اللحظة التي دخل فيها المعلم (صابر) ليأخذ جلسته فوق البار ويطلب مشروبه ... طلبت منه قراءة الورقة الصغيرة المكتوبة باللغة العربية .. بعدها فهمت كل شيء، كل ما

كان يهزي به أثناء سُكره, الآن اطمأنت أين مولودها .. !!!

عاد إلى المنزل .. كانت وفاء تنتظره وهي في غاية الترقب والشغف لتعرف رد فعله بعدما يقرأ خطابها المختصر .. لم يتغير شيء .. أخذ محل نومه فوق الأريكة ولم يتحدث, لم يحدث عنه أي تصرف غريب على الإطلاق .. جن جنونها ... انتظرت حتى غطَّ في النوم وفتَّشت جيوبه فلم تجد أثرًا للورقة !!.

١٦ ديسمبر .. نفس السيناريو المعتاد هرب إبراهيم لعالمه بعدما عاد من عمله الذي بات يتأخر عنه كثيرًا وأصبح مهددًا بالفصل, دخل إلى الملهى مخمورًا بأحزانه ينتظر جرعات الخمر كي يفيق من دوار الحياة , وجدها بانتظاره, تلك التي تشبه الدخيل ! تحمل ورقة بيدها .. بعد أول كأس أخبرته بلكنتها العربية العرجاء بأن ثمة شيء سقط من جيبه بالأمس .. أخذ الورقة وغاص بعينيه بين سطورها من خلف زجاج الكأس الشفاف, بدأ في استيعاب محتوى الورقة ببطء فسقط الكأس من يده ثم استدار متجهًا لباب الملهى دون أن يصدر عنه حرف واحد أو تعبير, حتى حساب البار لم يدفعه ... هرولتْ خلفه لكنها عادت أدراجها بعدما بلغ باب الملهى ولم يجب نداءها .. فترك موقعها في العمل رفاهية لا يمكن الحصول عليه بسهولة !

**ذهبت منذ شهرين لمكتب الصحة وسجلت الطفل باسمنا ..**
**إبراهيم, سامحني ..سيف يحتاجك أنت أيضًا مثلما يحتاجني وأحتاجه..**
**لا تطيل غيابك عنَّا فعالمي مظلم بدونك ... أحبك**

**زوجتك المخلصة / وفاء**

بهتته الكلمات, اكتظت بداخله مشاعر دسمة متضاربة تفتك بضلوعه .. لم يلتفت لـ ماريا وهو يغادر الملهى .. ولّى ظهره للجميع ورحل لا يدرك موْطئ قدميه .. لا يرى من العالم سوى ورقة بلون وردي خطت فوقها حروف باللون الأحمر قرأها آلاف المرات .. وقف أمام نسيم النهر البارد .. طيرها الهواء من يده لتسقط ببطء فوق صفحة الماء , فطارت روحه خلفها .. انحنى ليلتقطها مسقطًا نصفه العلوي من فوق الكوبري ليلحق بورقته فأَفْلتتْ يده من فوق السور المُندَّى بحُلم الشروق ... حينها هاجمه خيال وجه الطفل الدخيل يضحك بخبث متلاصق الخاحبين عيناه ينبعث منهما الشرر وكأنه يدْعس بقدمه الصغيرة جدًّا فوق أطراف يد إبراهيم ليتهاوى من فوق الجسر .. مازال لا يدرك الموقف لكنه سقط محدثًا صوت ارتطام عنيف فوق صفحة الماء وعيناه لم تزل متمسكة بخيط الكلام الأحمر فوق الورقة الوردية ... صرخ للمرة الأخيرة ....

سـ ســـــــــيف ... !!

# الدخيل

مرَّ يومان ثقيلان لا تعلم وفاء شيئًا عن زوجها الغائب ولا تدرك أسباب غيابه .. هل هو الخطاب .. !! ظهرت فردة حذائه فوق الشاطئ, جرفتها الأمواج على مَقْربة من الجثة التي عُثر عليها بعد عدة ساعات حيث ألتقطها أحد الصيادين بعينيه, منتفخة فوق سطح الماء بالقرب من قاربه فأبلغ عنها .. لم يكن ببعيد عن مكان سقوطه .. نُقلت الجثة «لمشرحة زينهم « ..خضعت لتحليل الطب الشرعي ومحاولة التعرف على صاحب الجثة .. أشار تحليل العينات لوجود كمية من السموم والخمور سببت انهيار كامل لاتِّزان الجسم وإدراكه .. قد يكون السبب الرئيسي لسقوطه في ماء النهر من فوق الكوبري, أما باليد اليسرى فيوجد أثار لكدمة بسيطة!.

تلقَّت وفاء الخبر كبرقٍ صاعقةٍ في سماء كونها الذي قرر أن يُظلم فجأة ويبرق ويرعد ويخيف كل من حوله من مخلوقات حية أو جماد .. تكوَّمت الأفكار والكلمات بجوفها وتحجرت كجُلْمود, لم تَنْبِس حرف أو تنفجر كبئر ماء جوفي مالح من صخور جيريّة بيضاء أحاطت بأحداقها, حتى أهدابها أحالت لدبابيس راشقة بالجفن غُرست بعناية لتوغزه بألم كلما رمِشت ... أطلَّ عليها نور ظلامها الوحيد ضاحكًا كأنه استعذب الكارثة .. !

## تاريخ الوفاة ١٧ ديسمبر ١٩٩٢

انتشرت بالعزاء الكثير من الوجوه العائلية التي لم ترها منذ زمن بعيد .. زمن قطعت به العائلتان صلتهما بالزوجين اللَّذَين تزوجا رغم أنف الجميع .. كانت أسرة المرحوم ترفض هذه الزيجة من فتاة تقطن في حي شعبي فقير لم تكمل تعليمها المتوسط , أسرتها الفقيرة لا تناسب مستوى أسرتهم الرفيع .. أما أمها التي رفضت التورُّط معها في زيجة من شخص حلَّ عليهم يطلبها للزواج دون موافقة أهله, هؤلاء الذين بعثوا لهما بالكثير من التهديدات إذ ما تم هذا الزواج .. مما تسبب في وفاة أمها بسكتة قلبية إثر هروبها للزواج من إبراهيم فلحقت بزوجها المتوفي منذ هروب الأخ الوحيد خارج البلاد فوق ظهر سفينة في عرض المتوسط دون أوراق رسمية وإلى الآن لا يعلم أحد مصيره غير الله .. هكذا تخلت عنها عائلتها وتخلت عائلة إبراهيم عنه بعدما هرب ليتزوجها بما يمتلك من رصيد أودعه له والده في دفتر توفير مكنه من استئجار تلك الشقة بحي راقٍ ودفع تكاليف الزواج وبعض الأثاث والملابس الجديدة لزوجته التي هربت بما عليها من بيتها بالحي الشعبي ...

كانت أعين الكل تتساءل عن الصبي الصغير ومتى أنجبوه ولمَ تأخر إنجابه طوال عشرة سنوات ؟ .. نظرته الحادة المخيفة وابتسامته المستفزة ؟ .. لقطت أذنيها دون قصد حديث بين اثنتين من السيدات المخضرمات في العائلة تقولان لبعضِهما «لابد أن لقدوم هذا الطفل فأل شُؤْم فقد فقدت الأسرة عائلها فور قدومه .. انظري لنظراته الحادة ... !!» .. غضبت وفاء من الحديث الذي انسكب بأذنيها دون استئذان وقررت أن تنساه .. فهذا

طفلها الآن , كل عالمها , كل أهلها وفرحها في هذا الكون الكئيب ...

مضى أسبوعان من الحزن والكآبة وشحوب الوجه الظاهر على ملامح وفاء, أطل العام الجديد برأسه دون وجود إبراهيم .. حملت الطفل وذهبت به لمدفن زوجها .. وقفت ضارعة أمام الحجر المنقوش باسمه, تمنت لو استطاعت محادثته, وأن يجيب على كل تلك الأسئلة التي تدور برأسها لكن الموتى يلتزمون الصمت, لا شيء يفشي أسرار موتهم .. اعتذرت منه وسقت الأزهار البنفسجية بنهر عينيها حيث لم يتركها الطفل لحزنها أكثر من ذلك, أخذ يداعب وجهها بكفه الصغير, فتنبَّهتْ له واعتدلت وأخذته وغادرا المكان, الغريب أنه محتفظ بهدوئه كأن الحدث أسعده .. كأنه امتلكها وحده أخيرًا ....

في طريق العودة ذهبا معًا للمَتْجر واشترت بعض احتياجات الطفل من حِفاضات وعُلَب اللبن وضعتها جميعها في عربة التسوق الكبيرة بجوار الطفل الذي بدت عليه السعادة وهو ينظر للألوان والرفوف .. أصابتها الحيرة أمام رفّ وجبات الأطفال سريعة التحضير .. أي نوع قد يكون مناسب لعمره ياترى ؟ أنقذها من حيرتها أم تحمل طفلة عمرها يقارب عمر الصبي التقطت عُلبة من فوق الرفّ وابتسمت فقلدتها وفاء والتقطت عُلبة من نفس النوع .. التقتْ عيون أطفالهما فتبسم سيف وانتفضت الطفلة من عربتها تمد يديها نحوه كأنها تريد الذهاب معه .. تبسمت وفاء وانطلقت كل منهما في طريق ليكملا تسوقهما, لكن الطفلة لم تكف عن البكاء بصوت ارتجَّت له الرفوف في المتجر..
عيناه ماكرتان حقًّا ثمة شيء غريب بهما .. لم تنقطع عنهما الابتسامة والمُناغاة وكأنه كان يجرب سحره مع تلك الفتاة الصغيرة ونجح .. كان

يلوح بيده إلى الرفوف فتلتقط وفاء ما أشار إليه على الفور لتضعه داخل العربة بجانبه فيزداد إشراقًا .. حقًّا كان تسوق ممتعًا نسيت معه كل حزنها، بل واشترت ما يكفي لإعداد الاحْتفال برأس السنة .. احتفال صغير يليق بهما .. احتفال لم تعد له، بل الطفل هو من اختار كل شيء ..

# عامٌ جديد ١٩٩٣

مرت الأيام فيه على نفس الوتيرة ... كل ما يعكر صفوها أن معاش زوجها لا يقوى على سد احتياجات الطفل المتزايدة وكل ما ادَّخرته في السنوات الماضية قُضي عليه في سهرات إبراهيم المتواصلة خلال شهرين قبل وقوع حادث وفاته .. شيء آخر عكر صفوها هو إحساسها بأن الورقة الوردية التي دستها بجيب زوجها قبل وقوع الحادث بيوم قد تكون السبب الرئيسي في انتحاره !! أم أنَّ هذا الطفل يحمل لها الشُّؤْم .... لا لا طردت الفكرة سريعًا من رأسها, لا تريد تخيلها أو نَسْب أي حادثة لها ... عادةً الأطفال يحملون معهم رزقهم .. لكن مصدر دخلها الآن ما عاد ليكفي , لابد لها أن تبحث عن عمل يساعدهما على تحسين الأوضاع .. الطفل قارب على اكتمال عامه الأول وخلال عامين سوف يحتاج لمصاريف إضافية لإلحاقه بحضانة راقية يتدرب بها على بعض المهارات والألعاب ويختلط بأطفال من نفس عمره .. مازال يحتفظ بتلك النظرة الجامدة العميقة وابتسامته المعهودة , يتقبل التفاعل مع من لا يعرفهم بشكل عجيب، بل ويأسرهم بنظراته وكأنه قائد .. سيصبح هذا الصبي يومًا ما ذا شأن عظيم ...

طالت الأيام بوفاء تشعر ليلًا بالوحدة والآسى، بل والندم أحيانًا حين يتردد صدى صوت عجوز العزاء بكهوف عقلها «شُؤْم» هي من أتت به إلى عالمها فانهدم عالمها فوق رأسها ..

كانت تنهكها الأفكار والدموع حتى تنعس منتقعة الوجه فتوقظها يد الطفل تداعب خدها بحنان .. تدندن له أغاني الطفولة بصوتها العذب

والذي كان من أهم أسباب دمارها يومًا ما , كانت في مرحلة المراهقة تحلم بأن تكون مطربة مشهورة فقابلها رفض والديها وأخوها قبل أن يقرر الانتحار برحلته التي لا يعلم إلا الله إذا كان قد خرج منها حيًّا أم ميتًا .. ضربها بشدة ومنعها من إكمال سنة الدراسة الأخيرة بالتعليم الفني, فقضى على أحلامها إلى أن التقت بإبراهيم صدفة وتعلقا ببعضهما وظنت أنه طوق نجاتها , بعدما هربت لتتزوجه استعادت وفاء أحلامها من تابوت الذاكرة, اعتقدت أن بزواجها قد تخلصت من القيود التي قتلت حلمها في الماضي وأنها الآن حرة , ظنت أن إبراهيم لن يرفض حلمها أو يدمرها مثلما فعل أخوها ووالدها من قبل , لكنه كأي رجل شرقي قابل الفكرة بالتهكم وبتر الحديث من جذوره عن هذه الأحلام التي تدور بخلدها بتهديد تُقنَّع في هيئة دعابة سمجة .. !!

هذا الطفل الصغير وبرغم كل ما تناثر حوله من أفكار عن شُؤْم وسوء الحظ إلا أن لمسة يده حين يوقظها مداعبًا خدها كفيلة بإذهاب أعتى صداع من رأسها .. ظنت في البداءة أنها محض مصادفة أو أنها تفعم بالحيوية حين تلمس حنان طفولته البريئة, لكنها تأكدت أن الأمر ليس مجرد صدفة حين تكرر مع طفل غريب كان بصحبة أمه في جولة التسوق داخل المَتْجر يجلس في العربة الحديدية ويتلوى ألمًا ويبكي تتعالى صرخاته والأم تسرع بالعربة لتضع فوقه هرم من العُلَب والحِفاضات وأكياس المَعْكرونة وبعض الاحتياجات الأخرى التي أتت لتتسوقها كي تنتهي من الأمر سريعًا, فألقى سيف بجسده من فوق عربته حتى كاد أن يقع منها إلى أن لامس الطفل فهدأ في الحال, تعجبت وفاء وكذلك والدة الطفل لكنها لم تفهم, رحلا بسلام وعادت وفاء بطفلها للبيت بعد أن أكملا جولتهما بالسوق, لكن أفكارها لم تهمد, أخذت تربط بين صداعها وصرخات الطفل في المَتْجر

ولمسات يد طفلها العجيبة ... !!

ما عاد شيء يؤثر لتسكين ألآم رأسها سوى لمسة يد الطفل, ازداد الأمر بمرور الأيام بشكل ملحوظ .. رغم انقطاع وفاء عن زيارة جيرانها وانقطاعهما العائلي عن أهل زوجها أيضًا إلا أن في بعض المرات القليلة التي تصادف أن تخرج بالصبي كانت تتجلى مواهبه على من حوله من أشخاص لا يعرفهم , فهمت وفاء أنها أمام طفل غير عادٍ .. مرت الأعوام حتى قارب الطفل عمر ثلاث سنوات وأصبح لزامًا عليها إلحاقه بفصول التمهيدي بإحدى المدارس الخاصة وليتم ذلك لابد أن تبحث هي الأخرى عن عمل كي تتمكن من دفع المصاريف .. عمل يشغل وقت الصباح , تنتهي منه قبل انتهاء اليوم الدراسي .. لكنها لا تملك مؤهل يجلعها مقبولة بأية وظيفة حكومية .. لا بأس من العمل بإحدى المكتبات أو المصانع المهم توفير دخل إضافي .. داعب فكرها الحُلم القديم بأن تصبح مطربة مشهورة لكن العمل في هذا المجال يتطلب إهدار الليل بالعمل والنوم طوال النهار مما سيضطرها لإهمال الصبي ! ربما تمكنت من توفير راتب مربية تهتم بالصبي أثناء غيابها لو حصلت على أجر كبير .. !!

نحن الآن في عام ١٩٩٥ , الطفل الصغير أصبح صبيًا يتكلم ويشدو بأغاني الطفولة .. صوته عذب مثل والدته التي هي ليست أمه الحقيقية, تلك الحقيقة التي لا يعلمها إلا الله و وفاء .. يحبو ويجري ويملأ البيت تارة بالصخب وتارة بالهدوء باختصار يملأ الحياة بالحياة .. يتسلل دائما خلف وفاء أينما ذهبت يرمقها بنظراته الحادة ويقلدها أحيانًا .. حتى أثناء استحمامها كان يختلس النظرات من خلف ستارة حوض الاستحمام ويلعبا معًا لعبة الغُمَّيْضة فتضحكها دعابته وخفة ظله .. لكنه مازال على حاله كلما ذهب للاستحمام ينساب الماء فوق رأسه الطويل بشعره الأسود

الناعم ثم إلى جلده كأنه لم يلمسه, لكن لماذا ؟ لم تستطع وفاء يومًا الإجابة على هذا السؤال ولم تتجرأ على إطلاع أي شخص على أسرار الطفل العجيب .. يتعكر لون الماء ويهرب لفُتْحة الصرف ويبقى جلد الصبي جاف ! لكنه على أية حال استحم وأصبح نظيفًا .. هكذا أقنعت نفسها لتصرف الأفكار عن رأسها المُكْتظ .. وصدى صوت كهوف رأسها يردد أن هذا الطفل غريب الأطوار !! فحبست هذه الأصوات جيدًا وأغلقت عليها كل أقفال اللامنطق ..

كل الأمور إلى الآن تسير بشكل شبه طبيعي .. والذي تعلمه وفاء عن الصبي لا يعلمه سواها إلا الله , تتجاهل التصريح به أمام أحد بأية شكل كي لا تثير الريبة والتساؤلات حول الصبي ... أخذت أوراقه وقدمتها بإحدى المدارس الخاصة عالية الثمن بعدما حصلت على وظيفة بمصنع حفظ وتعليب مواد عذائية بدوام كامل مع اشتراطها العمل بفترة الصباح فقط , كي تتمكن من مراعاة طفلها .. وافق رب عملها ربما لجمالها التي مازالت تحتفظ بجزء كبير منه .. أرملة ناضجة لم تتعدَّ بعد عامها الثالث والثلاثين.. بدأ الصبي بفصول الصيف قبل الدراسة بشهرين وبدأت وفاء تنتظم بعملها ...

حاولت باستماتة تدبير مبلغ الدفعة الأولى من مصاريف المدرسة, جمعت كل ما كانت قد ادَّخرته خلال الثلاث سنوات الماضية من المعاش .. لكن قريبًا جدًا ستضطر لدفع دفعة ثانية من المبلغ وإلا حُرم الصبي من حضانته التي أحبها .. فماذا تفعل ؟

انتظمت في عملها بكل جدية .. لكن المجتمع قلما ترك أرملة جميلة تخرج إلى العمل دون تحرش .. تعبت من مضايقات رب عملها وتلميحاته الكثيرة التي تجاهلتها .. كانت تعود للبيت مرورًا بمدرسة الصبي لتأخذه بعد أن يصبح وحيدًا تمامًا في الفناء وقد رحل كل أقرانه مع ذويهم مبكرًا عنه .. تراه يجلس هادئًا وديعًا فوق الأريكة الخشبية الخاصة بباب المدرسة فيطمئن قلبها بأن طفلها أصبح رجلًا صغيرًا يُعتمد عليه , لا يتسبب في أية مشكلات .. هو طفل هادئ وبشوش مع نظرته الحادة وكل ما تعرفه عنه وتحبسه داخل كهوف عقلها بأقفال اللامنطق .... !! يعودا للبيت ومعهما زائر آخر ثقيل هو الصداع الذي لا يفارقها إلا بلمسه يد الصبي .. كم هو رقيق وحانٍ يملأ حياتها الفارغة ..

مر العام , ذبلت من شقائه ملامحها, استطاعت بصعوبة بالغة تدبر أمر المصروفات ببعض القروض, لكن ماذا ستفعل بالعام القادم ومصروفات الدراسة تزداد في كل مرحلة عن التي تسبقها !!

طفلها بارع في الرسم, تعلم الحروف الأبجدية العربية والإنجليزية, يلعب ويمرح بين زملائه بسعادة بالغة, أحيانًا تظهر عليه تلك الخوارق, وقعت صديقته أثناء الجري على ركبتيها فساعدها على الوقوف بعدما كانت تتألم بشدة زال عنها الألم حتى أنها لم تجد أثرًا لجرح بركبتيها, وذلك الذي تلوى ألمًا بعدما أكل شطيرة اللانشون ربَتْ على كتفه فتوقف عن التأوه وزال عنه الألم .. بدأت مدرسة الفصل تلحظ هذه الأحداث وغيرها لكنها أعاذتها للمصادفة, فمن ذا الذي سيصدقها إن قالت بأن الطفل ذو الأربع سنوات يمتلك قدرات خارقة على شفاء أقرانه بالفصل !! لم تشِ بظنونها أمام أحد ...

وفاء تأبى حرمان طفلها من مدرسته التي يتلقى بها تعليم راقٍ وتجاهد بشتى الطرق كي تمنحه إياه ... فكرت يومًا أن تتحدث لأهل زوجها في مسألة تعليم الصبي وتحملهم جزء من مصروفات مدرسته على أن تدبر هي باقي المبلغ, لكنها طردت الفكرة سريعًا خوفًا من اتخاذ طلبها ذَريعة للمطالبة بضم الصبي لحضانتهم .. هم لا يعلمون حقيقة أن الطفل ليس لإبراهيم, كل ما يعرفونه أنه كل ما [illegible] من ذكراه وقد يتشبَّثوا بضمه لهم بحجة أن وفاء غير قادرة ماديًا على مراعاة الطفل والإنفاق عليه ..

# صيف ١٩٩٦

ذا يوم حار قائظ في طريق عودتها من العمل وبعد يوم شاق تحملت فيه الكثير من المضايقات التي لم يكفَّ عنها صاحب العمل .. اعترض طريقها مطاردة بين مجموعة من البلطجية كان زعيمهم يطارد أحد الأشخاص وشهر سلاحه بوجه المارة في وضح النهار .. لك أن تتخيل شكل المطاردة وموقف وفاء التي تسمرت رعبًا مكانها دون حراك وهي ترى الأسلحة والطلقات تتناثر حولها وزعيم البلطجية يصوب نحو الشخص المطارد ليصيبه بقدمه ويبعث خلفه صِبْيته للحاق به .. فرّ المطارد وخلفه الصِّبْية ووقف زعيمهم أمام وفاء مُتسمِّرًا هو الآخر .. !!

صابر .. عرفته وفاء على الفور تمامًا كما تعرف هو عليها, اسمه صابر ومهنته بلطجي بشارع الهرم- هذا ما ستعرفه منه فيما بعد- .. غادر حي السبتية التي كانت تقطنه عائلة وفاء الفقيرة وعمره ١٩ عامًا بعد أن تسبب لها في فضيحة كادت أن تشعل الفتنة الطائفية بالحي لولا أنه هرب ولا أحد يعلم عنه شيئًا من يومها ,عندما هربت هي الأخرى لتتزوج من إبراهيم ظن أهل الحي أنها هربت لتلحق به , لم يكن إبراهيم كمال يعلم شيئًا عن تلك الواقعة .

كان يكبرها بعام واحد فقط .. جارها في نفس الحي يرْتاد نفس المدرسة الابتدائية الحكومية .. لم يُحدَّ بنظره عنها طرفة عين, كان شغوفًا بها وهو صغير لا يدري معنى اخْتلاف الدين الذي حال بينهم ... ترك المدرسة بعد الصف الرابع الابتدائي لضيق حال أسرته المادي, عمل صبي بمحل خردة

بنفس الحي ولم يَكفّ عن مُتابعتها كلما مرت أمامه , إلى أن أُتُّهم في قضية حيازة سلاح وسجن لفترة وجيزة, خرج بعدها من السجن ليحمل السلاح طوال عمره, أول ما بحث عنه بعد خروجه من السجن هي حبيبته وفاء, والذي أدرك أنه من المستحيل أن يتزوجها لأسباب كثيرة, عرف أنها تركت السنة الأخيرة من دراستها بعد أن عرضت على أسرتها فكرة احتراف الغناء والآن - كما أخبروه ــ سوف تتزوج من رجل من عائلة ثرية لكن يبدو أن ثمة مشكلات في تلك الزيجة تعطلها .. جن جنونه يومها وانتظر وفاء مختبئًا في بئر سلم بيتهم حين عادت تحمل طبق الفول لتعد الإفطار لوالدتها التي لم يبقَ لها أحد غيرها بعدما هاجر أخوها لمصير مجهول ومات والدها حسرة عليه .. فاجأها بالمدخل الخافت الإضاءة فانسكب من يدها طبق الفول, سحبها بقوة من معصمها وكتم أنفاسها بقبلة عنيفة .. قال لها بلهفة بعد أن أطلق صراح شفتيها : أنا أحبك ... أحبك ... وفاء لا تتركيني أريدك معي لا تتركيني .... لا تتزوجيه وتتركيني ...

وعلى ما يبدو من حالته ودموعه أنه كان بحالة سُكر أو حمى شديدة فأصابها الذعر من منظره وصرخت بأعلى صوتها وانتشر الخبر في كل الحارة , وكادت الفتنة الطائفية أن تشتعل لولا أن أخاها لا تعلم له أرض و والدها بين الأموات فهدأت ثورة باقي الحارة تدريجيًّا أمام امرأتين لا حول لهم ولا قوة .. هروب صابر بعد تلك الواقعة ساعد على إخمادها لكن هروب وفاء بعده بأيام قليلة أثار الأقاويل من جديد وهذا ما لم تتحمله أمها فماتت هي الأخرى بالسكتة القلبية, هكذا لم يتبقَ أحد ليهتم بمعرفة نهاية قصة صابر و وفاء وما عاد أحد يسأل, ها هي عادت لتقابله الآن بعد مرور ثلاثة عشر عام, بلطجي بشارع الهرم, بل أنه الزعيم ....

حملتهم الصدمة إلى أقرب مَقْهى طلبا كوبين من العصير وجلسا يتحدثان فيما حدث لكل منهما خلال الأعوام الماضية ..

- لماذا ترتدين ثوبًا أسود ؟.
- زوجي توفاه الله منذ ثلاث سنوات .
- البقاء لله .. عندك أطفال ؟.
- سيف ... مات والده وعمره ثلاثة أشهر فقط , تركني وحيدة ليس لي غير سيف .
- مازلت تغنِّين ؟.
- نسيت الغناء منذ زمن .. أنت تعلم كيف حُرمت من إكمال دراستي بسببه .
- أين تعملين إذن ؟
- بمصنع حفظ وتعليب مواد غذائية .
- وصوتك ؟.
- تنهدت .. مازال كما هو ..

تبسمت ودفنت وجهها خلف كوب العصير ارتشفت منه ثم نظرت لساعتها .. ! وأكملت .. المدرسة !! تأخرت على سيف .. لابد أن أرحل الآن ..

- انتظري سآتي معك .
- إلى أين ؟.
- إلى المدرسة .. لن أتركك بعد أن وجدتك أخيرًا ... سنتحدث في موضوع مُهم للغاية بعد أن نحضر سيف .
- موضوع !.
- اصبري .. ستعرفين كل شيء في وقته المهم الآن ألا نتأخر على

سيف .. هيا بنا .

دفع الحساب وانطلقا .. كان سعيدًا مبتهجًا وهو يمشي برفقتها , أما وفاء فقد بدت ذاهلة طول الطريق .. تفكر وتفكر في الموضوع الذي سيتحدثان فيه , هل سيطلب منها أن تبقى معه ويتزوجا سرًّا كما عرض عليها يوم أثار صراخها الفزع والفتنة في الحي !!.

وصلا إلى المدرسة فوجدت سيف يجلس هادئًا كعادته .. فصول الصيف قليلة العدد في الغالب يذهب إليها من اضطرتهم ظروف أمهاتهم العاملات من اللحاق بها ... تحولت ملامح وجهه حين رأى رجلًا غريب بصحبة أمه, نفض يده من كف أمه معلنًا الغضب, ترك حقيبته تستحم برمال الفناء .. انحنى صابر ليحمل حقيبته ومد يده ليصافحه لكنه رفض دافنًا وجهه في صدره ويداه عقدهما خلف ظهره ...

- سلم على عمو يا حبيبي .. !

- .....

أشاح بوجهه للجهة الأخرى

- ما شاء الله ربنا يخلي .. لا يشبهك لكنه رجل صغير رائع .

ابتسم ومد يده ليصافحه مجددًا

- لا أعلم ما سرّ غضبه اليوم !! .. سيف حبيب مامي ما بكَ هل ضايقك أحد ؟.

- .....

عاد بوجهه ينظر بشزرٍ نحو الرجل الغريب ثم أشاح بوجهه بعيدًا مرة أخرى ودمعت عيناه , جثت وفاء على ركبتيها تحتضن الطفل ..

- لا عليك حبيبي ... اهدأ .. هيا لنخرج من هنا, سيأخذنا عمو

«صاصا» لنزهة جميلة ويحضر لك الحلوى .

«صاصا» .. سمع الاسم واندلعت كل الذكريات الجميلة بعقله .. هكذا اعتادت وفاء أن تناديه في مرحلة ابتدائي قبل أن يترك الدراسة .. كم أحب هذا الاسم حين تنطقه شفتاها الورديتان .. ترقق بحنان وانحنى تاركًا حقيبة المدرسة وحمل الصبي واحتضنه وبدأ في السير للخروج من باب المدرسة , أخيرًا أحس سيف بحنانه واستجاب له ولم يبكِ, حملت وفاء الحقيبة ولحقت بهما ..

أوقف سيارة أجرة وذهبوا ثلاثتهم لمطعم فخم .. جلسوا على مائدة مستديرة اقترب صابر بكرسيه من وفاء فالتصق الصبي بأمه من الجهة الأخرى .. تشتت وفاء توزع النظرات بينهما .. تنتظر بشغف أن يكمل صابر حديثه الذي بدأه معها حين ظهر بحياتها فجأة بعدما اختفى أعوام, في الوقت ذاته تخاف أن تشعل غضب الصبي لو أحس بعدم اهتمامها به خصوصًا بعدما لاحظت الغيرة تملأ دائرتي عينيه ... طلبوا الطعام فالتهى الصبي قليلًا بالصَّحْن الذي ملأته له وفاء بالطعام المحبب له .. كان يأكل بطريقة طفولية همجية .. لم تذق هي إلا القليل من صَحْنها حيث التهت في سماع حديث صابر فلم تنتبه للجوع .. أما صابر فكان يشرب كأسًا كبيرًا من الجِعة ويأكل بشراهة ويتناثر الطعام من فمه وهو يتحدث .. سألته وفاء ..

- ماذا عنكَ .. لماذا رأيتكَ تحمل سلاحًا ؟.

- هاهاها .. أنا هنا الزعيم .. زعيم «بودي جاردات» شارع الهرم وهذه المطاردة ما هي إلا جزء بسيط جدًّا من مصاعب المهنة .. انتبهي ..لدي أمر مُهم .. هل مازلت تحَلُمين بالغناء والشهرة ؟؟.

- .....

لم ترد, ظلت ذاهلة صامتة وهو يلوح بالطعام في يده وفمه ممتلئًا بالمزيد

- لا تفكري .. الأمر لا يحتاج تفكيرًا .. مطعم راقٍ يتردد عليه كبار رجال الدولة والإعلام والفن .. كل ما يتطلبه الأمر أن تأتي معي وأنا سأتكفل بكل شيء ولن أتركك أبدًا سأظل بجانب ..

دارت رأسها وأخذت تُعبًّأ الماء بجوفها محاولة أن تهدئ من التهاب الأفكار المرتطمة بداخلها .. هل سيتحقق حلمها فجأة بكل سُهولة !!.

- وفاء .. وفاء .. لا تفكري في شيء الآن .. وتأكدي أني سأظل بجانبك لن أتركك أبدًا ..

أنهوا وجبتهم وخرجوا ثلاثتهم من المطعم تحمل رأسها بصعوبة, أوقف لها سيارة أجرة ركبت هي مع طفلها ودفع الحساب للسائق مقدمًا طالبًا منه أن يصل الهانم لباب البيت, دسَّ بطاقة بيدها تحمل اسمه وأرقام هواتفه وأوصاها ألا تنسى الاتصال به في أقرب فرصة ممكنة .. كان الصبي هادئًا بنهاية اللقاء عكس ما كان عليه تمامًا في أوله، ودعه بابتسامة رقيقة .. ظل يحدق في الفراغ كأنه ينظر للمستقبل وبدت ملامحه غريبة, استمر شاخصًا في اللاشيء ويده فوق قلادته, إلى أن غطَّ في النوم ,وظلت مثله عائمة في فضاء الغرفة لكنها لم تستطع النوم مطلقًا في تلك الليلة .

أغمضت عينيها أخيرًا قرب الفجر, ساعة واحدة ورن جرس المنبة معلنًا انتهاء رحلتها في عالم الأحلام .. على مدار عام اعتادت أن تسبق الصبي لتحضر له حقيبة المدرسة وعُلبة الطعام .. فتحت عينيها فوجدته مستيقظًا ويبدو أنه سبقها بفترة طويلة فبدت نظراته جامدة منهمكًا في سبُّورته

الصغيرة يخط عليها بالطباشير الملون رسومات غاية في الدقة والإتقان .. نظرت للساعة كانت قد تخطت التاسعة صباحًا !! .. يا الله لقد أغلقت المنبِّه في الحال كيف غفوت مجددًا ! ها اليوم ضاع لا عمل ولا مدرسة ..

تركت الصبي لرسوماته الطبشورية بعد أن حضرت له وجبة الإفطار وأشعلت المِذياع على إذاعة الأغاني بدأت تسمع الموسيقى وتردد الكلمات وهي تعمل بالمطبخ ... وفاء أرملة جميلة تغني بصوت عذب وتتراقص مع صوت الأغنيات الخفيفة التي انتشرت في ذاك الوقت .. مر وقت طويل وبدأت الأغاني تتكرر ووفاء تحفظها بسهولة .. لاحظت الصبي يتتبع رقصاتها بشغف ودهشة فاغرًا فاه .. دهشت هي الأخرى حين تنبهت لموقفها !

عادت إلى نفسها قليلًا .. فاقت من خدرها وترددت الأصوات بعقلها .. «هذا إذن يعني موافقتك المبدئية على العمل كمغنية ؟!! «
«لا لا إنه مجرد وقت مستقطع من الترفية والعبث بعيدًا عن كآبة الحياة ليس إلا «
«لماذا إذن تحفظين الكلمات وترديدها ؟ اعترفي أنك موافقة !! «

أطفأت المِذياع وأطفأت أصوات عقلها , كانت قد انتهت من عملها المنزلي .. أخذت ملابس نظيفة لها وللطفل وأدخلته ليستحم .. تكرر نفس الشيء , الماء ينساب فوقه تاركًا جلده جافًا تمامًا .. لكنه ينساب من فوقه ساخن هذه المرة ! .. هل طفلها مريض يعاني من ارْتفاع في درجة حرارته دون أن تدري !! ... أخرجت الترمومِتر سريعًا وقايسَتْ درجة حرارته ... كل شيء يبدو طبيعيًا ..

ارتدى الطفل ملابسه النظيفة وصفَّفت له شعره الكثيف الأسود وأخرجته لغرفته, فاجأها الرسم الطبشوري على سبُّورته الصغيرة .. عروس البحر العارية وطفل يقف أمامها بلا ملابس حافي القدمين يمسك رأسه بكلتا يديه كأن شيئًا ما أصابه .. رسم محترف متقن صعب أن تتخيل أنه لطفل لم يتم بعد عامه الرابع ! .. تعجبت من الرسم وحارت في مدلوله, أخرجت (الكاميرا) من درج الخِزانة الصغيرة لتلتقط صورة للوحة .. مدحت بعدها الصبي بعبارات الثناء والتشجيع .. هل من الممكن أن يكون طفل موهوبًا لهذا الحد في الرسم ؟، بل وشافٍ للصداع أيضًا !!.

أعادت (الكاميرا) لدرج الخِزانة, نظرت لأسفل فوجدت البطاقة التي اخذتها من صابر وقعت من فوق الخِزانة وبه اسمه وأرقام هواتفه .. التقطت البطاقة وخرجت من الغرفة دون تعقل متجهة نحو الهاتف وطلبت الرقم .. نظرت للحائط الساعة الآن تقارب الثالثة بعد الظهر ... أجابها صوت من الهاتف بعد رَنِين مستمر.. صوت أُنثويّ !!.

- أآآلو .. من ؟.
- أكلم أستاذ صابر لو سمحتِ ؟.
- أستاذ .. هي هي هي .. انتظري أوقظه.
- .....

انتظرتْ وفاء على الهاتف ما يقرب من الربع ساعة .. شعرت بخجل شديد واختناق, ترددت في إغلاق الهاتف .. لم تحتمل صدى الصوت المتصاعد في كهوف رأسها .. أنزلت سماعة الهاتف من فوق أذنها وفي اللحظة الأخيرة قبل إغلاق الخط أتاها صوته :

- ألو ألو ..

- صاصا , أنا أسفة على الإزعاج الذي سببته لك بالبيت !
- (بلهفة) وفاء .
- نعم .
- وحشتيني.
- (صمتت للحظة ..لم تعرف كيف ترد, ابتلعت ريقها ثم قالت بصوت مضطرب ) إحم .. هل مكالمتي هذه سببت مشكلات ؟.
- مشكلات مع من ؟. هاهاهاها إنها الخادمة .. وفاء .. هل فكرتي فيما قلته لكِ ؟.
- مترددة .
- مترددة ! من ماذا ؟. قلت لكِ لا تخافي من شيء, لن أتركك ... غدًا سنذهب ثلاثتنا إلى حديقة الحيوان ونكمل حديثنا .. غدًا في تمام العاشرة صباحًا .
- .... (صمت)
- غدًا في العاشرة لا تتأخري سأكون هناك بانتظاركما .
- إن شاء الله .
- باي يا فوفا .
- باي .

وكأنها مُخدَّرة تمامًا .. كيف وافقتُ على اللقاء بهذه السهولة ؟. لماذا اتصلت به من الأساس ؟. كأن شيئًا ما يسلب إرادتها أو أن إرادتها الغير معلنة هي ما يحركها, حلمها بالشهرة والغناء عاد يستيقظ بقوة من جديد وأصبح يقودها إلى الجنون !!.

صباحًا جهزت بعض المأكولات السريعة في حقيبة رحلات صغيرة وأيقظت سيف وبدلت له ملابس النوم بملابس خروج أنيقة وأعدت له كوبًا من اللبن ليشربه , ارتدت ملابسها السوداء وخرجا معًا في تمام التاسعة والنصف لتصل في الموعد .. عند باب البِناية وجدت صابر في انتظارهما ! ... عجيب كيف عرف عنوانها ! الأمر لم يعد بسيطًا كما كانت تعتقد .. حقًا هي ليست لها علاقات قوية بجيرانها وأن كل شقة بالحي مغلقة على أسرارها, لكن هذا لا يمنع الأحاديث خلف الجدران المُؤْصدة, لا يهم إذن ما سوف يُقال ولا يهم أي شيء في الوجود سوى لحظات سعادة تختلسها من تلك الحياة الظالمة !!.

استقبلهما بابتسامة عريضة, حمل الصبي واحتضنه وقبل وجنتيه ثم مد يده ليصافح وفاء بشوق تلمَّسته من حرارة يده .. حمل عنها حقيبة المأكولات وكانت السيارة الأجرة بانتظارهم .. إنه نفس السائق وبنفس السيارة التي أوصلتها للبيت أول أمس ! نظرت له بدهشة متسائلة

- أليس هذا نفس السائق ؟!.
- بلى, وما الغريب في الأمر .. ألم أقل لكِ أني الزعيم هنا ..

ابتسمت ابتسامة صفراء, ركبت بجوار الصبي في الكرسي الخلفي من السيارة و ركب هو بالكرسي الأمامي بجوار السائق وانطلقوا .. خيَّم الصمت على الأجواء .. ،بل وانتابها الخوف مما يحدث .. !

في الحديقة ظل صابر يلعب ويجري مع سيف ويطعما الحيوانات معًا وهي تراقبهما بسعادة .. لم ترَ ابنها بهذا المرح من قبل, كان سعيدًا بشكل واضح .. أكلوا بعض الشطائر التي أعدتها واشتروا غزل البنات والفيشار

والفول السوداني الذي أطعم معظمه للقردة .. اشترى له أيضًا البالونات الملونة وبعض الألعاب الصغيرة .

انتهت جولتهم بالحديقة ووصلوا بالقرب من بابها, تنهدت وفاء قائلة :

- كان يوم جميل جدًّا, أشكرك .. لم أر سيف سعيد هكذا من قبل
- أين ستذهبان ؟.
- إلى البيت ...
- لا لا مازالت في الجولة بقية, أولًا سنذهب للمطعم ثم .. سأقول لكِ بعدها ماذا نفعل .. هيا لنكمل جولتنا هيا ..
- نكمل ؟؟.
- صبرًا بالله .. ستعرفين كل شيء .

أخرج هاتفًا محمولًا من جيبه واتصل بسائق السيارة الأجرة لينقلهم للمطعم .. دقائق وكان أمام باب الحديقة, يا له من صاحب سطوة ونفوذ ! حتى في المطعم يستقبلونه باحترام وترْحيب شديد ..

بعد وجبة طعام دسمة لم تأكل وفاء وطفلها منها الكثير كعادتها, التهم هو بشراهة طعامه, أخذ خلة أسنان وبدأ ينْخُر بين ضُروسه وأنيابه عما تشبث بهم من قطع اللحم ثم ألقى بحَفْنة أوراق نقدية فوق الطاولة وغادروا المطعم , وجدت السيارة بانتظارهم في الخارج وأشار بيده للسائق أن ينطلق دون أن يَنْبِس .. كأن السائق يعرف طريقه جيدًا, كأنها خُطَّة معدة من قبل .. بدأ القلق يوسوس لها بأفكار كثيرة أثقلت عقلها, فقرأ القلق المكتوب بعينيها ..

لم يجب بكلمة, بل استحب عيونها القلقة, ترك الأفكار تلتهم عقلها حتى وصلوا أمام مبنى ضخم مهيب .. (مول) كبير .. نزل صابر قبلها وفتح لها الباب فدلفتْ هي وطفلها , شعرت وقتها بأنها ملكة تدخل إلى قصرها الذهبي في استقبال حافل , تتبختر فوق السجاد العجمي, قادها لمحلات تمتلئ بفساتِين السهرة والكماليَّات وأحذية مرتفعة النِعال ..

- مولاتي , اختاري كل ما يعجبك
- ..... لم تَنْبِس

كانت مبهورة بطريقته وبمنظر الفساتين تحدق بانبهار، وخوف من ارتفاع أسعارها.. لاحظ هو ذلك حين وجدها تقلب في العلامة التجارية لتعرف السعر المدون فوقها فلم تجد ما يفيد فكرر «اختاري كل ما يعجبك وفقط لا تهتمي بالأسعار ..اتفقنا ؟ « أخرج بيده من فوق قائم الملابس ثلاثة شمَّاعات مختلفة تحمل فساتين مكشوفة الصدر والظهر وقال لها آمرًا «هيا .. جربيهم « أخذتهم من يده ودخلت إلى غرفة تغيير الملابس مر وقت ثم خرجت بنفس ملابسها .. فنظر لها متعجبًا, نطقت دون أن يسأل فقد قرأت السؤال في نظرته «خجلت أن أخرج هكذا !! «.

ثرياااااااااااااااا .. ... على الفور أتت فتاة تعمل بالمحل, أمرها أن تترك كل شيء وتهتم بوفاء فقط ..حنيت رأسها مجيبة طلبه «أمرك يا صابر بيه» ... يبدو أنه معروف هنا أيضًا, معروف في كل مكان موجود فيه معها, الكل يحترمه وينحني مُلبِّيًا طلباته .. الكل يحترم المال ..!.

دخلت مجددًا لغرفة تغيير الملابس, فأحضرت لها الفتاة ملابس داخلية تناسب فساتين السهرة , ساعدتها في تغيير ملابسها وخرجت كأنها وفاء

أخرى غير التي دخلت حالًا غرفة تغيير الملابس..

أصدر صابر صفيرًا طويلًا من فاه معبرًا عن مدى إعجابه واندهاشه بجمالها فاحمرت وجنتيها خجلًا وانْحنتْ رأسها محدِّقة في الأرض .. دخلت غرفة تغيير الملابس وخرجت عشرات المرات وكل مرة يبدو معجبًا بها حقًّا, حتى الصبي ظل يقلده في الصفير والغمز بعينه .. كان يشير للفتاة بإيماءة رأس فتضم الفستان الذي تم قياسه إلى كوْمة فساتين ظلت تعلو كالهرم فوق طاولة دفع الحساب, بعد أن انتهت من الفساتين والملابس الداخلية التي تناسبها اختارت الأحذية العالية والكماليَّات المناسبة .. دخلت للمرة الأخيرة غرفة تغيير الملابس لتخرج بزيِّها القديم كان صابر قد دفع الحساب بالكامل واتصل بالسائق ليحمل الحقائب داخل السيارة .. كل هذا الوقت لم يكف عن اللعب مع سيف، بل أنهما أصبحا أصدقاء .. وربما تحالفا ضدها فيما بعد .

اصطحبهما بعدها لمحل الألعاب .. اشترى لصديقه الجديد الكثير والكثير من المسدسات والبنادق وعربات اللعب ... تمثلت السعادة بكل معانيها على وجه سيف برأسه الطويل وملامحه الحادة وشعره الأسود الدامِس وعينيه الغامضتين الزرقواتين لا يشبه أمه على الإطلاق بوجهها الدائري الطفولي وشعرها البني المُموَّج .. مع كل سعادته ظل ينظر للفراغ بعمق كأنه يتخاطر ذهنيًّا مع شخص ما عبر فجوة زمنية بعيدة .. !

أوصلهما أخيرًا إلى المنزل بعد يوم جميل وطويل .. فتح لها باب السيارة وأمر السائق أن يصعد بالمشتريات «

- غدًا موعدنا مساءً .. ارتدي أجمل فستان .. سأحضر لاصطحابكما

للعشاء .. لن أتركك تأكدي من ذلك .. إذا أعجبك المكان و وافقتي على الغناء به لن أتركك أبدًا .

حمل الصبي النائم وصعد به الدرج حتى باب الشقة ,, وقف أمام الباب مرتبكًا وكانت وفاء في غاية الخجل ..

- هل تريد الدخول قليلًا ؟
- لا شكرًا سأذهب لألحق بعملي .. هتوحشيني لحد بكره ..باي يا فوفا .
- خلي بالك من نفسكَ .
- وأنتم كمان .. سلام .

لا يهم ما حدث في السهرة , فقد تركت وفاء عملها في المصنع بالفعل وبدأت عملها كمغنية بأجر كبير ..

الحرية

الحرية هي أن تفتح للعالم ذراعيك

اصطدمت وفاء بالوضع الجديد كذلك سيف .. صدمها التفاف الآلاف حول صابر .. نعم بقي بجوارها كما وعدها لكنه في عالم آخر يكتظ بالنساء و الحِراسات الخاصة ورجال أعمال معروفين يأتون إليه بالاسم ليقضي لهم بعض المصالح التي ينأوا بأسمائهم عن التورط بها !!

لم يختلف الوضع كثيراً عن سابقه في المصنع حيث مضايقات السكارى لا تفرق عن معاكسات صاحب المصنع وخلافه من العاملين .. ، بل زادت المضايقات عن سابقها .. فحولها يلتف السكارى بكل تبجح وتنتشر الفواحش والمجون .

احتل صابر والعمل الجديد معظم يومها وتهمش بدوره اهتمامها بسيف, حيث أصبح له مربية تدبر أمرها صابر لتكون مسؤولة عن احتياجات الصبي, تنظم له مواعيد الدراسة واللعب وتهتم بنظافته وأكله وشربه ومواعيد نومه .. يأتي من المدرسة منهكًا فيجد المربية في انتظاره يدخل ليستحم بنفسه ويحظى بقيلولة قصيرة بعد وجبة الغداء .. وقتها تستيقظ وفاء يأكل الصداع نصف رأسها .. تُشْعل دخانها (عادة جديدة اكتسبتها بطبيعة الحال الجديد) ثم تشرب فنجان من القهوة مع لفافة تبغ أخرى وتبدأ في التحضير لسهرتها بالكثير من مساحيق التجميل و(الكوافير) الخاص الذي يحضر لمنزلها في تمام الخامسة وحين ينتهي من عملهِ برأسها ترتدي الفساتين الضيقة المكشوفة الصدر والأكمام وحذاءها العالي وتذهب لعملها بالسيارة الأجرة التي تجدها في انتظارها أمام البيت .. هنا يصحو الصبي لو كان من حسن حظه أن يراها قبل نزولها للعمل فتكون في شدة التوتر والانشغال .. فلم تعد وفاء تداعبه أو تغني له أغنياته المحببة, لم تعد تهتم برسوماته غير أنها تشتري له ألوان باهظة الثمن, لم تعد تتابع

مستواه الدراسي !!.

انْطوى سيف على ذاته .. تقوقعت موهبته بداخله كأنه يؤجل الإفصاح عنها .. انكب على دراسته و وحدته وحزنه , كان يرسم لوحات جميلة بمختلف أنواع الألوان التي وفرتها له أموال والدته , لم تعد مصاريف المدرسة مشكلة، بل أنها أغْدقتْ التبرعات على مديرة المدرسة لتطوير الفصول .. سيف يتعلم في مدرسته الأخلاق والقيم واللغات ليعود إلى البيت فيجد المجون !, هو حقًّا ولد متفوق مجتهد وسريع البديهة ... لكنه يحيا التناقض بكل معناه .. سهر وفاء وشربها للخمر والسجائر, زيارات صابر التي لم يعرف لها تفسيرًا حين يعودان مترنحين قرب الفجر .. أحيانًا كانت تأخذه معها كتعويض عن الترفيه الذي فقده, يجلس بغرفتها إلى أن يأتي موعد ظهورها على مسرح الملهى فيراقبها من خلف الكواليس, يغضب من نظرة السكارى لها عندما يلتفوا حولها لينثروا الأوراق النقدية وهم يترنَّحون ويرقصون ..

نعم لم يكن الوضع مجرد غناء في مطعم كما أخبرها صابر .. يرى بعينيه من يقرع بابها بعد انتهاء الغناء ويغدق الهدايا الغالية وزجاجات الخمر.. يقبلون يديها ويجثون أمامها على رُكَبهم طالبين رضاها فتُنبِههُم بنظرة من طرف عينها لوجود الصبي بالغرفة فيحملون حالهم ويرحلون !!.

الحرية سيدتي

هي أن تفتحي للعالم ذراعيكِ وليس ساقيكِ !!

## ليلة الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١

كان عيد ميلاده التاسع .. أعدت له وفاء احتفالًا كبير بالملهى الذي تعمل به .. لكن قبل بدأ الحفل بساعات قليلة ...
عملية إرهابية ذاع الحديث عنها في وسائل الإعلام .. قيل أنه ١٩ شخصًا على صلة بتنظيم القاعدة نفذوا هجمات باستعمال طائرات مدنية مختطفة ... انقسم منفذو العملية إلى أربعة مجموعات ضمت كل منها شخصًا تلقى دروسًا في معاهد الملاحة الجوية الأمريكية .. وتم تنفيذ الهجوم عن طريق اختطاف طائرات نقل مدني تجارية , ومن ثم توجيهها لتصطدم بأهداف محددة , وتمت أول هجمة في حوالي الساعة ٨:٤٦ صباحًا بتوقيت نيويورك, حيث اصطدمت إحدى الطائرات المخطوفة بالبرج الشمالي من مركز التجارة العالمي .. بعدها بدقائق في حوالي الساعة ٩:٠٣ اصطدمت طائرة أخرى بالبرج الجنوبي, وبعد ما يزيد عن نصف الساعة اصطدمت طائرة ثالثة بمبنى البنتاجون .. الطائرة الرابعة كان من المفترض أن تصطدم بهدف رابع, لكنها تحطمت قبل الوصول للهدف !!.

أحدثت هذه الواقعة تغييرات كبيرة في السياسة الأمريكية عقب هذه الأحداث, والتي بدأت بإعلان الحرب على الإرهاب في الشرق الأوسط وإسقاط نظام طالبان بأفغانستان وإسقاط نظام الحكم في العراق بعد شن الحرب عليها .

بعد أقل من أربعة وعشرين ساعة أعلن حلف شمال الأطلسي أن الهجمة على أية دولة عضو في الحلف هي بمنزلة هجوم على كافة الدول التسعة

عشر الأعضاء .. كان لهول العملية أثرٌ على حشد الدعم الحكومي لمعظم دول العالم للولايات المتحدة ونسي الحزبان الرئيسيان في الكونجرس ومجلس الشيوخ خلافاتهما الداخلية , أما في الدول العربية فقد كان هناك تباين شاسع في المواقف الرسمية الحكومية مع الرأي العام السائد بالشارع الذي كان إما لا مباليًا أو على قناعة أن الضربة كانت نتيجة ما وصفه البعض بالتدخل الأمريكي في شؤون العالم .. !

بعد ساعات من أحداث ١١ سبتمبر كان احتفال عيد ميلاد سيف التاسع وكانت الولايات المتحدة توجه أصابع الاتهام لتنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن !.

كل هذه الأحداث تعرفوها بالطبع لكن تعالوا لنستعرض بعض النقاط ثم نعود لنحتفل بعيد ميلاد سيف :

في ٢٤ يوليو ٢٠٠١ قام رجل أعمال يهودي اسمه «**لاري سيلفرشتاين**» باستئجار برجي التجارة من مدينة نيويورك لمدة ٩٩ عام بعقد قيمته ٣,٢ مليار دولار وتضمن عقد الإيجار (بوليصة تأمين) بقيمة ٣,٥ مليار دولار تدفع له في حالة حدوث أي هجمة إرهابية على البرجين ! وقد تقدم بطلب المبلغ مضاعفًا باعتبار أن هجوم كل طائرة هو بمنْزلة هجمة إرهابية منفصلة .. واستمر سيلفرشتاين بدفع الإيجار بعد الهجمات وضمن بذلك حق تطوير الموقع وعمليات الإنشاءات التي ستتم مكان البرجين القديمين !.

في ٦ سبتمبر ٢٠٠١ قفز حجم بيع والتخلص من أسهم شركات الطيران الأمريكية بحجم بلغ أربعة أضعاف حجم البيع الطبيعي لهذه الأسهم وفي ٧ سبتمبر قفز حجم البيع والتخلص من أسهم بونيغ الأمريكية إلى حجم بلغ خمسة أضعاف حجم البيع الطبيعي لهذه الأسهم , وفي ٨ سبتمبر قفز حجم البيع والتخلص من أسهم شركة أمريكان أيرلاينز إلى حجم بلغ ١١ ضعف حجم البيع الطبيعي لهذه الأسهم , وحركة البيع والشراء اللاحقة بعد الأحداث وفرت أرباح وصلت إلى ١,٧ مليار دولار أمريكي !.

في يوم ١٠ سبتمبر ٢٠٠١ قام العديد من المسؤولين في مبنى البنتاجون بإلغاء رحلات طيرانهم المحددة يوم ١١ سبتمبر بصورة مفاجئة.

في يوم ١٠ سبتمبر ٢٠٠١ أيضًا وصل إلى «ويلي براون» محافظ سان فرانسيسكو اتصال هاتفي ينصحه بعدم الطيران إلى نيويورك لحضور اجتماع كان مقررًا عقده في ١١ سبتمبر , ولم يغادر بناءً على تلك النصيحة واتضح فيما بعد أن المكالمة صدرت من مكتب كونداليزا رايس !!.

ظهرت تقارير عن رؤية أسامة بن لادن ليلة ١١ سبتمبر في باكستان في مستشفى عسكري باكستاني حيث تم إخلاء جميع العاملين من قسم المجاري البولية واستبدالهم بعاملين من الجيش بحسب إحدى الموظفات .

لم يسقط البرجان الرئيسيان فقط ، بل وسقط برج التجارة رقم ٧ والذي يحوي مقر (الي آي آيه) والخدمات السرية بعد عدة ساعات بدون تفسير منطقي , واتضح أنه مملوك بالكامل للاري سيلفرشتاين الذي كان قد استأجر باقي الأبراج .. وجميع البنايات المحيطة بالبرج السابع لم تتأثر,

بل حتى لم يسقط زجاجها, التفسير الرسمي هو أن شظايا نارية وصلت إلى البرج أدت إلى إصابته بأضرار مدمرة واشتعال النار في داخله وبالتالي انهياره على شكل قد يظن البعض أنه تفجير, إذا صحت النظرية يكون هذا البرج هو البرج الثالث في تاريخ البشرية الذي يسقط بسبب الحريق أول برجين سقطا هما برجي التجارة .

تم الكشف في برنامج بث على الهواء مباشرة عن ترتيبات لاري سيلفرشتاين لتفجير البرج ٧ ذلك اليوم .. الخبر الذي استغرق بثه ١٠ دقائق تعرض للتشويش خمس مرات .. لاري سيلفرشتاين استلم ٨٦١ مليون دولار قيمة التأمين عن ذلك المبنى الذي كلف شراءه ٣٨٦ مليون دولار , بربح صافٍ غير خاضع للضرائب يقارب ٥٠٠ مليون دولار !.

تحدث الناجون عن انفجارات كانت تحدث داخل الأبراج إلا أن التحقيق الرسمي لم يذكر شيئًا !.

وصف الكثير من رجال الإطفاء ما شاهدوه بأنه عملية تفجير للبرجين !.

تم الحصول على أدلة تشير إلى حدوث تفجيرات تحت الأرض أسفل البرجين لحظات قبل الانهيارات هذه التفجيرات تم التقاطها من قبل مراصد جامعة كولومبيا !.

اتهمت أمريكا بن لادن بالضُّلوع بالهجمات ولكن بن لادن علق على الحادثة فقال : بأنه يثني على فاعلي العملية ولم يذكر أنه مسؤول عنها، بل قال أنه في ولاية إسلامية ولا يمكنه تنفيذ أي عمل إلا بإذن إمام الولاية!.

ظهر بعدها بن لادن في شريط فيديو أظهرته الحكومة الأمريكية وتحدث ونسب العملية له ولكن الشخص المتحدث بالفيديو لم يكن بن لادن، بل ولم يكن حتى يشابهه وفي التدقيق بالفيديو رأى مؤيدي نظرية المؤامرة بأنه يحمل خاتمًا من ذهب وهذا ما تحرمه الشريعة الإسلامية وظهر بن لادن أيضًا يكتب بيده اليسرى مع أن كل الذين يعرفوه شاهدوه يكتب باليد اليمنى !.

بعد سياسة أمريكا الغاشمة ضد الشرق الأوسط وحروبها عليه بدأ نجم الاتِّحاد السوفيتي يسطع في الأفق من جديد كطوق نجاة للعرب !.

- التفسير الأخير للحادث هو أن هذا الطفل شُؤْم !!.

هل أثرت تلك الأحداث في محيطه ؟.
فيما بعد سنعرف هذا , دعونا الآن من هذا الهراء ونعود لقصتنا ..

لم تؤثر كل تلك الأحداث على موعد الاحتفال الذي أعدته وفاء, دعت كل الراقصات والمطربات لحضور عيد ميلاد ابنها سيف .. ماريا كانت إحدى المدعوات لحضور الحفل , تلك التي تحب اللون الوَرْدِيّ كانت تقف مقابل سيف و وفاء على الطاولة المستطيلة تغني مع الجميع أغنية الميلاد , تراقب سيف بشغف كأنها تريد التأكد من شيء ما .. أطفأوا الأنوار وأشعلوا الشموع التسع «هابي بيرث داي تو سيف هابي بيرث داي تو يو « أطفأوا الشموع وأشعلوا الأنوار كان سيف مازال محنيًا للأمام قليلًا يكمل إطفاء الشمع فرأت القلادة تتدلى من صدره ..

«القوة تنشئ الحق وتحميه»

صعد نجم صابر أيضًا بعدما قصده رجل أعمال شهير وأحد أعضاء الحزب الحاكم في قيادة حملته الانتخابية, قام بتشتيت أصوات الناخبين المصوتين للحزب المحظور، بل ومنعهم في بعض اللجان من الإدلاء بصوتهم بقوة البلطجة , بالفعل نجح بجدارة وأصبح صابر أشهر من يسلب الحقوق أو يعيدها لأصحابها بالقوة دون الحاجة للقوانين العقيمة ..، بل وأصبح محميًا برجال الدولة من القانون ذاته !.

إذا اغتصبت منك قطعة أرض وفشلت في استردادها وإذا أردت الاستيلاء على أرض الغير دون وجه حق , فعليك بالمعلم صابر .. هكذا عُرف في أوْساط البلطجية والمسجلين خطر وملاهي شارع الهرم والذين يرفعون شعار القوة تنشئ الحق وتحميه ...

**عام ٢٠٠٥**

طُردت المربية الخاصة بسيف بعدما ادَّعتْ أنه حاول التحرش بها !! ...

سبَّتها وفاء بأبشع الألفاظ وطردتها ..! طفل في الصف الثالث الإعدادي كيف له أن يفعل شيئًا كهذا ؟. لابد أن تلك المرأة جُنت ! أو هي من تحرشت به ! أو كانت محاولة لابتذاذها ليس إلا !.

لم تعد وفاء تَولي اهتمامًا للمسات يد الصبي الشافية بعدما اعتادت على الحبوب المهدئة المستوردة التي يجلبها لها صابر باستمرار .. تعود كل يوم مع بزوغ الفجر لا تشعر بالعالم حولها ..

يومًا من ذات الأيام عادت فجرًا كعادتها لتجد سيف طفلها الذي هو ليس بطفلها والذي لم يعد طفلًا بالمناسبة , يخرج من شقة جارتها متسحبًا إلى حجرته .. كذبت عينيها وأصابها الخدر ونامت , وحين فاقت من نومها في اليوم التالي كانت قد نسيت كل شيء فهي لم تكن وقتها في كامل وعيها ..

صيف ٢٠٠٩ وبعد امتحانات الثانوية العامة .. كانت قد وعدت سيف برحلة إلى الغردقة .. وبالفعل اصطحبته معها لقرية سياحية بالغردقة كانت قد تعاقدت معها لتحيي حفلات غنائية بها لمدة أسبوع .. لم يكن لديها من حبوب الصداع ما يكفي ولسوء الحظ كان صابر قد سافر إلى النمسا وقتها فلم تتمكن من الحصول على المزيد من الحبوب قبل سفره..

٢٠٠٩/٦/٣٠ عادت بعد ثالث حفل لها بالقرية لغرفتها رأسها ينفجر من الألم , بحثت عن شريط المهدئ فلم تجد به حبّة واحدة .. حاولت أن تشرب المزيد من لفافات التبغ وكؤوس الخمر ولم يؤثر شيئًا في انشقاق رأسها، بل زاد الأمر سوءًا , خرجت من حجرتها مهرولة إلى غرفة سيف تبحث لديه عن أية حبوب مسكنة للألم الذي يشق رأسها .. استيقظ من نومه مفزوعًا وقد ترك حُلمه المنتصب أسفل الغطاء .. جلست وفاء بجواره تبكي فلمس رأسها لتهدأ قليلًا وبدأ يدلك لها رقبتها إلى أن زال صداعها وسار الخدر في كامل جسدها المسجي فوق سريره .. لم يستطع الطفل الذي ما عاد طفلًا أن يقاوم شهوته ... التهمها إلى أن شبع , وقد حدث ما حدث ..

استيقظت وفاء لتجد نفسها بغرفة طفلها الذي هو ليس بطفلها ولم يعد طفلًا على الإطلاق !! انتابها الفزع وانتفضت كل خلية بجسدها .. هربت لحمام غرفتها تغسل جسدها بعنف وذهول وكأنها تريد سلخ

جلدها .. ارتدت ملابسها وخرجت من الفندق المطل على البحر لا تعلم إلى أين تذهب بعارها , وقفت أمام البحر تبكي وتبكي ودموعها تفجر ينابيع الصداع برأسها مجددًا وكأن سحره يغادرها, لم تشعر بحالها إلا بعدما ابتلت بالكامل , ليس بفعل الدموع، بل أنها تغزو البحر مستسلمة لأمواجه , ولم تخرج منه مرة أخرى , لم يخرج من حلقها الجاف حرف إلا بعدما بللته ملوحه البحر والدموع الأكثر ملوحة فازداد جفافًا وهي تصرخ للفضاء .. ســ ســـــــيف ...!

انتشلوا الجثة بجوار الصخور في اليوم التالي .. انتهت حياة وفاء بالغرق وهي في الأربعينيات من عمرها .. انتهت بمأساة وانتهى دورها في حياة الطفل الذي لم يكن طفلها والذي لم يعد طفلًا, دُفنت ودُفن السرّ معها وبقيت القلادة بعنق الصبي كل ما يربطه بالماضي الذي لم يعرفه حتى الآن !!.

انتقل سيف للعيش مع جدته وعمته, هما لا تعرفان الحقيقة تمامًا كما يجهلها هو نفسه, سيف في السابعة عشر من عمره أنهى
في الحال دراسته بالمرحلة الثانوية, زوج عمته الملتحي ألحقه بالكلية الأزهرية ليكمل دراسته ... لك أن تتخيل التحول الرهيب الذي طرأ على حياة سيف فجأة !!.

شاب مراهق امتلأت ثقوب شخصيته بالمتناقضات ... تربى تربية مزدوجة ما بين التعليم الراقي الذي تلقاه بالمدرسة الأجنبية والمجون الذي أحاط به , كل شيء ونقيضه .. ها هو الآن يدخل مرحلة تختلف تمامًا عن كل ما سبق , مرحلة تلزمه باتباع تعاليم صارمة وطقوس دينية لم يهتم يوم

بممارستها حيث لم يجد من يوجهه.. دكتور/خيري زوج عمته سيتكفل بالأمر , مع أنه ينظر له على أنه ابن عاهرة !.

ما لا تعرفه عن د/ خيري ..
أستاذ الفقه والشريعة بجامعة الأزهر, استطاع بنفوذه أن يلحق سيف بجامعته دون أن يدرس بمراحل التعليم الأزهرية وذلك بعد خضوعه لاختبار معادلة ..الاختبار الذي لم يجب سيف عن أي سؤال منه بحرف لكنه بالطبع نجح فيه بامتياز ...

هكذا قُيد سيف رسميًا كأحد طُلاب جامعة الأزهر بكلية الآداب قسم لغات وترجمة للعام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠
سيف إبراهيم كمال / طالب بالفرقة الأولى
كلية الآداب جامعة الأزهر / قسم اللغات والترجمة
تميز بين زملائه بتفوقه وقدرته الفائقة على النفاذ لقلوبهم
فاز برئاسة اتِّحاد الطلبة بجدارة.
لديه قوة تأثير عجيبة كأنه يخدر أطراف الحديث ويصل إلى مراده بكل سُهولة ! كالتنويم المغناطيسي مثلًا !.
حتى د/خيري لم يعد يتعامل معه بنفور كما كان , بات رقيقًا معه معجبًا بشخصيته الملهمة وتأثيره الساحر على الطلاب من دفعته والدفعات السابقة .. كسالف عهده استوعب سيف كل جديد بسرعة ويسر وحفظ الكثير من أجزاء القرآن وهضم كتب التفاسير والفقه والشريعة، بل تعمق بقراءة كتب خارج مجال الدراسة ليتفوق بها على أستاذه فأصبح أوسع معرفة منه .

أصبح سيف يُترجم الآراء الفقهية لعدة لغات لدرايته وإتقانه للغات الأجنبية ونطقه الصحيح لها, مما دعم مكانته لدى أساتذته فكانوا يستعينوا به لترجمة مقالات وآراء فقهية مُهمة لنشر الدعوة بلُغاتٍ مختلفة .

هذا كله لم يمنعه مِن الانزلاق لحياة سرّية من المجون , حيث سهراته بشقة والدته أو في الملاهي التي كانت تعمل بها , ظل على اتصال بصابر بعدما عاد من سفره بعد حادث موت وفاء وأخذ العزاء بجواره وظل يدعمه بعدها بالسهرات وأجود أنواع الخمور وأشياء أخرى ليساعده على الخروج من حالة الحزن والاكتئاب الذي أصابه , كان يعتقد بينه وبين نفسه أنه السبب الرئيسي في موتها لكنه لم يفصح بحادثة غرفة الفندق لأي كائن كان ..

٢٠١٠/٦/٣٠ في ذكرى وفاتها الأولى , لم يَحفِل أحد من عائلة والده بإحياء هذه الذكرى فاحتفل سيف بها على طريقته الخاصة بين صديقاتها من راقصات الملهى بطقوس عجيبة , كان يرقص ويُعرْبد بينهن ويقف فوق الطاولات يصرخ بمقولات عجيبة كأنه يتنبأ بشيء ما ! كان ينظر لبعض الرجال المخمورين فوق الطاولات ويفصح لهم بأسرار عن مستقبلهم السياسي المظلم مختلط ببعض الشتائم البذيئة, ظنوا أنه فقد عقله, حمله صابر ليعود به للبيت لكنه قاومه بقوة وبصق بوجهه وقال له أنه سيسجن قريبًا ! ظل يهزي إلى أن انهارت قواه فحمله هو ورجاله إلى البيت ..

كانت ماريا فتاة الملهى تراقب الشاب اليافع كلما حضر إلى الملهى الذي تعمل به, فتدور حوله وتراقب عنقه محاولة الوصول لرؤية القلادة لكنها

فشلت .. ما زال أمامها ثلاث سنوات يجب أن يمروا بهدوء دون أن تثير شكوكه حولها لذلك التزمت الصمت , ثلاث سنوات وتسترد منه القلادة لتتمم الطقوس بنجاح, لابد أن يكون محتفظًا بها في مكان ما لكن أين ؟. لابد أن تسأله عنها ولكن ليس الآن ... !.

# العام الدراسي ٢٠١٠/٢٠١١

انتقل سيف إلى الفرقة الثانية بنفس التفوق والسيطرة والسحر الذي آثر به عقول الطلاب والأساتذة .. مع امتحانات النصف الدراسي الأول انقلبت الأوضاع السياسية رأسًا على عقب, خرج للنور كل من استتر في الجحور وخلف شقوق فساد الحكومة السابقة شاهرًا سيفه يمتطي جواد الثورة ويلجمه لينطق هو بالنيابة عن الثورة والثوار .. الجماعة المحظورة اصطبغت بالشرعية وشاركت بكل ثقة في الانتخابات والعمل السياسي إلى أن وصلت للقمة ...

في هذا العام تحديدًا أضافت جامعة الأزهر قسمًا جديدًا حيث إن الوضع الجديد أصبح يتطلب وجوده بشده .. هي كلية الإعلام , ودعم الفكرة د/ خيري , حيث حول أوراق سيف من كلية الآداب إلى كلية الإعلام، بل وأتاح له الفرصة للعمل بإحدى القنوات الدينية الفضائية التي تملأ البيوت المصرية بالفتاوى والاجتهادات التي قد تصيب لكنها في الغالب تخطئ ولهم أجر الاجتهاد .. !.

وتحول بعدها سيف من مجرد شاب يدرس بالجامعة إلى داعية مشهور, الأكثر طلبًا بالفضائيات الإسلامية والغير إسلامية أيضًا .. يتحدث بودٍّ ساحر يأثر القلوب, داعية يتكلم بلغات عديدة, فلم تقتصر الحلقات التي سجلها بأكثر من لغة على الوصول للبيوت المصرية والعربية فقط, كانت وسامته لها عامل كبير أيضًا بأن يصبح فتى أحلام الكثير من الفتيات , شاب صغير السن, وسيم, لحيته الصغيرة المُشذَّبة بعناية تشبة لحية «مهند» .. شعره

الأسود الناعم و وجهه الطويل وعيناه الواسعتان بنظراتهما الحادة وأنفه الطويل .. ملامح حفظتها عيون الفتيات وقلوبهن كأنهن مسحورات ...

الأيام تتعاقب وتنقطع صلة سيف بملاهي شارع الهرم بعدما تجاوز أزمته وأصبح نجمًا مشهورًا وتناسى كل ما حدث فيما مضى, القبض على صابر في تلك الفترة ساعده على الانقطاع بشكل قطعي ونهائي, أما ماريا فقد أصابها الخوف الشديد من فقدان آخر خيوط الصلة بينها وبين سيف, بحلول عام ٢٠١٣ زاد خوفها, هذا العام الذي انتظرته عمرًا كي تتم طقوس الاستحضار التي أعدت له بعناية فائقة, لكن كيف ستصل إليه الآن وكيف ستقنعه بقصة أشبه بأسطورة خرافية !!.

# من هي ماريا ؟

ماريا .. حفيدة ماترينا جريجوري بيفموفيتش, روسية الأصل ولدت قبل وفاة جدتها بسبعة أعوام عام ١٩٧٠, تربت ببيت جدتها العجوز بالولايات المتحدة الأمريكية, استقرت جدتها هناك منذ غادرت روسيا في صباها بعد موت والدها, ماترينا أيضًا تحمل نفس الاسم «ماريا» حيث تم تغيير اسمها بعد انتقالها من سيبيريا للعيش مع والدها بسان بطرس بيرج عاصمة روسيا آنذاك .. أخذت على عاتقها مهمة تربية حفيدتها وتأهيلها للمهمة الصعبة التي يتوجب عليها إتمامها بعد مرور ٩٧ عامًا تحديدًا على موت والدها .. خططت لكل شيء ودرسته بدقة و وثّقت كل هذا بدفتر أحمر صغير مكتوب باللغة الروسية بخط أنيق .. لابد أن يتم كل شيء بموعده لا شيء متروك للصدفة, ليس للقدر دور بلُعبتنا يجب أن يتم كل شيء بدقة تامة !!.

أما ماترينا جريجوري بيفموفيتش, فمَن تكون ؟. أو بتعبير أدق , مَن يكون والدها ؟ مَن الذي تتمحور حوله كل تلك الترتيبات المُتّقنة لإعادته مرة أخرى للوجود !!.

راسبوتين !

جريجوري بيفموفيتش أو جريجوري راسبوتين (الراهب الأسود)
ربما سمعتم من قبل بهذا الاسم
أو ربما قرأتم عنه أو شاهدتم بعض الأفلام التي حاولت تجسيد حياته وشخصيته
ورُبما ستكتشفونه لأول مرة من خلال قصتنا هذه ..
في كل الأحوال .. مازال الشك قائمًا حول هذه الشخصية الخارقة للمألوف الاجتماعي والفكري والديني في مختلف بقاع العالم .. وحول قدراته الروحية والفكرية التي أثّرت على مسار المجتمع في عصره .
أهو ساحر مشعوذ .. أم راهب صوفي !.

**حين تنظر إلى عينيه الرماديتين كموجتين تشدّانك للغوص فيهما لا يسعك سوى الاستسلام لرغبتك في اكتشاف أعماقك المجهولة كما لو أنه امتلك روحك وإرادتك ...**

هو ذاك المتعطش لمعرفة الحياة وطاقة الروح على الاستمرار
تقوده حاسة مجهولة للتنبُّؤ بما سيحدث دون اللجوء لأية وسيلة سوى التواصل الروحي مع الله !.
المتشرد بين البقاع ناشرًا كلمة الحق ومساعد المرضى على الصبر والشفاء
الرجل الذي يهيأ للمؤمن بأنه روح سماوية خالدة
والذي حقق معجزات غريبة بإيمانه العميق
هو المؤمن بأن رحمة الله واسعة وأن لكل عبد نصيبه منها في الحياة وفي الآخرة ...

بالإضافة لكل هذه الصفات السامية التي جعلته محض اهتمام واحترام من الكثيرين , إلا أنه كان إلى جانب ذلك رجلًا حرًا .. رافضًا لكل القيود والمعطيات الاجتماعية , مُعربدًا حد الثُّمالة تارة .. وناسكًا حد التصوف تارة أخرى !.

زنديقًا بعلاقاته النسائية الحميمة .. ومعتكفًا في خلواته الروحانية المتعددة الطويلة ..

مستهترًا بحياته وهيئته المبالغ في إهمالها حينًا .. وعفيفًا في كل تصرفاته أحيانًا أخرى ..

كانت حياته حصيلة أشهر متواصلة من البحث عن الحقيقة الكونية .. وسنوات من التصوف ونَهْل العلم و المعرفة الدينية والروحية .

تمكن من فرض نفسه كراهب ناسك .. وكقديس قادر على شفاء المرضى والحيوانات من آلامهم .

كما وأنه تمكن من الحصول على مركز المرشد المساعد في قصر الإمبراطورية الروسية في العاصمة سان بطرسبرج .

كانت حياته مزيج من خمر ونساء وزندقة وتشرد بين قريته الصغيرة في سيبيريا والمدن الروسية الكبرى .. وذلك رغم حياته العائلية التي كان يتعامل معها بكل حب وحنان وقناعة .

في روسيا .. حتى يومنا هذا يطلقون عليه ألقابًا لا تخلو من المبالغة والانحياز .. ظلمه البعْض بتعريفاتهم التي اعتمدت على التجارة الإعلامية, منتهزين غموض شخصيته والذي لم يكن مفهومًا , معتمدين أيضًا على قدراته التنبُّؤية التي امتاز بها والتي قوبلت بالاتهامات العديدة والمتنوعة حينها .. إضافة إلى إشعال فتيل الغيرة والحسد من بعض المحيطين به لأنه

أصبح مقرب من الإمبراطور والذين تآمروا فيما بعد على اغتياله وكانوا السبب في موته الذي تنبأ به و وصفه قبل حادث اغتياله بساعاتٍ قليلة قائلًا في خطابه للملكة :

**سأموت موتًا شنيعًا بعد عذاب شديد**

**وبعد موتي ..لن يكون لجسدي الراحة**

**و ستتجردين من الملكية على روسيا**

**وأنت وابنك ستغتالون .. وكذلك كل العائلة الملكية**

**سيعبر روسيا بعد ذلك طوفان رهيب**

**وستقع بين يدي الشيطان !.**

**من بين ألقابة :**

الشيطان المقدس - صانع المعجزات - الراهب الفاسق - الماجن

الساحر - الداعر - المشعوذ - الفاجر !!

وليس لقب (راسبوتين) الأكثر شهرة سوى امتدادًا لهذه الألقاب المبالغ بها.. والذي يعني آنذاك: الفاسق الداعر.

من وجهة نظر البعض .. هو إنسان قديس .. ومن وجهة نظر البعض الآخر..هو مجنون .. في الواقع, راسبوتين لم يكن هذا ولا ذاك .

# كيف تم اغتياله
# وكيف سيعود ؟

في التاريخ المحدد للجريمة ١٩١٦/١٢/١٦ جاء شخص يدعى يوسوبوف لمنزل راسبوتين ليرافقه لمكان الجريمة التي تنتظره .. يوسوبوف هو أحد أقارب الإمبراطور أراد هو وأعوانه التخلص من سيطرة راسبوتين على قرارات العائلة المالكة ..كان يوسوبوف يخشى في داخله من تنبُّؤ راسبوتين بما سيحدث له ومن ثم يرفض الذهاب معه .. لكن رغبة راسبوتين بلقاء زوجة يوسوبوف الجميلة كانت أكبر من هواجسه بأي شيء آخر ... ومع ذلك تجدر الإشارة إلى ما صرح به راسبوتين ليوسوبوف آنذاك بأن أحد المقربين إليه قد حذره من الخروج من منزله في تلك الليلة ..مؤكدًا له أن ثمة أشخاص يخططون لاغتياله .. لكن راسبوتين أجاب قائلًا :

**(عبثًا ستكون محاولاتهم .. فلن يفلحون )**

مع هذا التحذير الذي لم يكن خاطئًا .. وافق راسبوتين على الذهاب إلى ذلك الموعد والارتماء بين أنياب الغدر .

في الساعة الثانية عشر ليلًا وصل يوسوبوف إلى منزله برفقة راسبوتين بعد أن ادَّعى أن زوجته مريضة وتحتاج للمساته الشافيّة .. أعلن له أن زوجته مع بعض الأصدقاء بالطابق العلوي وأنه سيتم اللقاء بينهما حالما تودع أصدقاءها ..

وبانتظار لحظة اللقاء .. قدم يوسوبوف لراسبوتين بعض المشروب والحلويات التي قد أعدها مسبقًا .. لكن راسبوتين رفض في البداءة لعدم قابليته للشرب أو الأكل في هذا الوقت ... وهنا بدأ القلق يجتاح نفس يوسوبوف وحاول البحث بكل الطرق عن طريقة تدفع راسبوتين للشرب

والأكل .. دار الحوار بينهما في مجالات عديدة والذكريات الماجنة .. واللقاءات التي اعتادها راسبوتين مع شخصيات مهمة في الإمبراطورية الروسية .. لكن هاجس يوسوبوف الأكبر كان ذلك التحذير الذي أخبره به راسبوتين عن مؤامرة اغتياله والذي كان قد تلقاه من صديقه ... لم يتمكن يوسوبوف من منع نفسه عن سؤال راسبوتين عن سبب تخوف صاحبه, أجابه راسبوتين بهدوء لا يشوبه أي شك .. بأنه من الطبيعي أن بعضًا يكرهه ويخطط للتخلص منه فهو يعلم أن بعضَ المقربين من العائلة المالكة لم يستسيغوا أن يكون راسبوتين - ذلك الفلاح القروي الأُمِّي الماجن القذر - من أهم الشخصيات المقربة للإمبراطورة وزوجها .. إن هؤلاء يحملونه مسؤولية تدهور الوضع السياسي الروسي خلال الحرب الألمانية الروسية وأضاف راسبوتين :

**(فلتعلم يا صديقي يوسوبوف بأنني لا أخشى هؤلاء الأغبياء, لأنني محمي بقدرة إلهية وكل من تراوده نفسه بإذائي أو المس بوجودي سيلقى أقبح العقوبات وسيصاب بأسوأ المحن )**

لم يكن لوقع هذا الكلام على يوسوبوف سوى أن زاد حقده على راسبوتين وازدادت رغبته في التخلص منه اليوم بالتحديد مهما كلَّفه الأمر .

فجأة طلب راسبوتين من يوسوبوف أن يصب له فنجان من الشاي الساخن, لم يكمل راسبوتين طلبه حتى كان يوسوبوف قد أعد له فنجان الشاي وبالطبع استخدم أحد الفناجين التي أعدها الطبيب مسبقًا بوضع كمية كافية من السم القاتل الذي يمكنه أن يقضي على عشرة رجال دفعة

واحدة خلال دقيقة , كم كانت دهشته بعدما مضى أكثر من نصف ساعة على آخر رشفة ارتشفها راسبوتين من فنجانه وهو مازال في تمام وعيه وصلابته !.

لم يتردد يوسوبوف في قرار التخلص من راسبوتين، بل ازداد إصراره , فبدأ يشجعه على تذوق الحلوي التي كانت أمامه والتي امتلأت هي الأخرى بكمِّية هائلة من السم .. ولكن راسبوتين أشار ليوسوبوف بأنه يرغب بتذوق نبيذ المادير المعتق أمامه قبل الحلوي, وكأن فرصة أخرى قد هبطت على يوسوبوف من السماء وبالطبع سكب له النبيذ في إحدى الكؤوس المضخمة بسم السيانور وبعدما أفرغ راسبوتين الكأس دفعة واحدة كان العرق يتصبب من جبين يوسوبوف أمام راسبوتين المفعم بالحيوية والنشاط كما لو كان ما تجرعه في الحال مجرد كأس من الماء فما كان من يوسوبوف إلا أن سكب له من النبيذ الفاخر بكأس أخر يحتوي أيضًا على السم وقدمه له .. وبعد دقائق فقط بدا على راسبوتين بعض الضيق في التنفس والكلام .. لكنه بدأ في تذوق الحلوى لإنعاشه بعد هذين الكأسين من النبيذ ..

بعد انتهاء راسبوتين من تناول الحلوى بدأ الخوف والقلق يتملكا نفس يوسوبوف وهو يراه مازال يواصل حديثه ويتأمل آلة جيتار مُتَّكئة أمامه على مقعد في الصالة .. وإذ به يطلب من يوسوبوف أن يعزف ويغني له أغنية مرحة على ذاك الجيتار !!.

لم تكن أعصاب يوسوبوف تساعده على العزف لكن بعد إلحاح من راسبوتين بدأ يوسوبوف بأغنية حزينة شجية وخلال ذلك كانت ملامح راسبوتين تتغير ببطء إلى تشنجات في الوجه وارتعاش في الجسد لكنه

استمر في الاستماع والدندنة مع العزف !

أنهى يوسوبوف عزفه وكانت الساعة تُشير إلى الثانية صباحًا وبدأ يفقد صبره وأمله في تأثير السم على راسبوتين, لم يبق أمامه سوي اللجوء لآخر حل وهو إطلاق الرصاص على راسبوتين وإنهاء هذه الساعات الطويلة من الانتظار والخوف والقلق ..
وبما أن مسدسه كان قد تركه في الدوْر العُلوي مع شركائه .. استأذن بحجة قلقه على تأخر زوجته في التخلص من ضيوفها .. وصعد إلى الدوْر العلوي مرتعبًا ليخبر شركاءه الذين بدؤوا بنفاذ الصبر أيضًا بأن راسبوتين مازال على قيد الحياة مع الكَمِّية الهائلة من السم الذي ملأ به معدته !!.

عاد يوسوبوف للصالة التي ينتظر بها راسبوتين ليتفاجأ به أمام منبر يتأمل ما عليه من قطع ذهبية وكريستالية زجاجية مصفوفة بعناية وأناقة ... اقترب منه ومسدسه خلف ظهره وطلب منه أن يحمل بيده صليبًا من الزجاج الكريستالي والذي كان يتوسط تلك المجموعة من القطع الجميلة النادرة, تناوله راسبوتين بهدوء وخشوع وطلب منه يوسوبوف أن يصلي على روحه التي ستغادر الآن ! .. وبنفس الوقت وجه يوسوبوف طلقة رصاص مباشرة اخترقت صدر راسبوتين باتِّجاه القلب ...
تهاوى جسد راسبوتين على الأرض ترافقه صرخة اخترقت أجواء المنزل سارع شركاء يوسوبوف من الدوْر العُلوي لملاقاته في صالة القبو.
اقترب الطبيب من الجسد المسجي أرضًا الملطخ بالدماء وأعلن بصوت مرتج مليء بالسعادة ,, بأن راسبوتين الآن جثة بلا روح !

صعد يوسوبوف مع الشركاء للدوْر العُلوي لاسترداد أنفاسهم وهدوئهم

والتحضير للخطوة التالية من المخطط الشنيع , ولكن ثمة شعور غريب داخل يوسوبوف يدفعه للعودة ثانية للصالة للتأكد من موت راسبوتين, فعاد ..

كان الجسد الشيطاني ممددًا على الأرض دون حَراك , اقترب منه يوسوبوف يتمعن في الوجه المشنج الملطخ بالدماء .. وبالرغوة المتسربة من فمه والتي أحدثها مفعول السم الذي تجرعه منذ ساعات , في لحظة تهيُّؤ يوسوبوف لمغادرة الجسد مطمئنًا لموته التام .. رفَّ جفن عين راسبوتين الأيسر رفَّة خفيفة ..

ارتعب يوسوبوف مذهولًا .. ولم يصدق عينيه .. اقترب بوجهه من وجه راسبوتين للتأكد مما رآه .. وإذا براسبوتين يفتح عينيه الاثنين المكْتظتين بالغضب والألم والحقد ويقبض على عنق يوسوبوف بقوة ليقف على ساقيه من جديد كمارد مهيج بالوحشية والعنف ..

بقدرة عجيبة تمكن يوسوبوف من تحرير كتفيه من يدي راسبوتين الحديدية .. دافعًا إياه إلى الخلف ليسقط على الأرض جثة هامدة من جديد ..

توجه يوسوبوف إلى الدوْر العُلوي صارخًا بصوته المرتعب معلنًا أن راسبوتين مازال على قيد الحياة ...

تمكن من الوصول لمكتبه حيث وقع نظره على عصاة من الكاوتشوك القاسي المخصصة للقتال في المشاحنات العسكرية .. تناولها بجنون القاتل وعادوا جميعهم للصالة التي تخمد فيها جثة راسبوتين .. ياللصاعقة !.

لم يكن هناك جثة !!

كانت هناك آثار دماء تتجه نحو الباب المؤدي للخارج .. والباب مفتوح على مصراعيه وجسد يترنح نحو باب الحديقة في الظلام ...

سارعوا باللحاق براسبوتين وإطلاق رصاصتين الأولى اخترقت رقبته والأخرى سكنت برأسه ...

سقط ككوْمة قش فوق الثلج المتراكم على الأرض, تم نقل الجثة لداخل المنزل ريثما تتم التحضيرات للتخلص منها بأسرع وقت, غلّفوه بغطاء سميك بعد أن أوثقوا يديه وقدميه ..

وبينما يوسوبوف يتأمل مذهولًا جثة المارد الذي قاوم الموت بقدرة خارقة لقدرات البشر وإذ به ينتابه نوع من الجنون المدفوع بالحقد والكراهية والنقمة على هذا الشيطان فانهار عليه ضربًا بالعصاة الكاوتشوكية التي كان قد أخذها من مكتبه ...

تتالت الضربات بعنف و وحشية لا مثيل لهما حتى فقد يوسوبوف وعيه من الإرهاق والتشنج والغيظ .. وعندما عاد لوعيه اقترح عليه شركاؤه بتغيير الخطوة الأخيرة للتخلص من الجثة بأسرع ما كانوا قد خططوا له في البداية وذلك بإلقائها مباشرة في النهر الذي اتفقوا عليه والانتهاء من هذا العبء الذي بدأ يزعزع أعصابهم جميعًا.

وافق يوسوبوف على الاقتراح وتمت الخطوة الأخيرة بإلقاء جثة راسبوتين في نهر نيفا .

هكذا ...

كانت نهاية راسبوتين نهاية من الصعب أن يصدقها العقل ..

ولكنها انتهت كما تنبأها راسبوتين بقوله :

**سأموت موتًا شنيعًا بعد عذاب شديد**

**وبعد موتي لن يكون لجسدي الراحة**

**وستتجردين يا ألكسندرا من الملكية على روسيا**

**وأنت وابنك ستغتالون وكذلك كل العائلة الملكية**

**سيعبر روسيا بعد ذلك طوفان رهيب**

**وستقع بين يدي الشيطان !!.**

**مات راسبوتين موتًا شنيعًا بتاريخ ١٩١٦/١٢/١٦**
جُردت الملكة ألكسندرا وعائلتها من الحكم الملكي بتاريخ ١٩١٧/٣/١٥
تم اغتيال العائلة الملكية بأكملها بتاريخ ١٩١٧/٧/١٦
اندلعت الثورة الروسية بأشد عناصرها بقيادة «لينين» وكان ذلك أول منعطف أساسي في تاريخ المملكة الروسية .

تجدر الإشارة أخيرًا إلى أن التشريح الطبي لجثة راسبوتين بعد العثور عليها في اليوم الثالث من اغتياله .. اثبت وأكد بأنه لم يمت تأثرًا بالسم ولا بالطلقات الثلاث التي اخترقت قلبه ونخاعه وعنقه وإنما مات غرقًا في مياة النهر المتجمد !!!!!!!!.

بعْضٌ يقول أنه دُفن وبعْضٌ آخر يقول أن جثته أُحرقت بالنار لردع أتباعه وهناك من يدعي أنه تقرر نقل الجثة في قبر خاص لكن أثناء النبش لم يجدوا لها أية أثر !!.

هكذا ظل راسبوتين لغز حير العالم أجمع (راسبوتين الراهب الأسود) سوف يعود !!.

أما ماريا راقصة الملهى .. فمعها خيوط السرّ كله .. لم تكن القلادة كل شيء فهي ينقصها أهم جزء الذي انتزعته من قلبها واحتفظت به منذ إحدى وعشرين عامًا في انتظار اللحظة الحاسمة, الفص الأسود , الروح , الجوهرة والجوهر, نزعتها ماريا من قلب القلادة حين تركتها مع الطفل في أكتوبر ١٩٩٢ يوم حدوث الزلزال كما نعلم حين عثرت وفاء عليه وبقيت القلادة هي الدليل الوحيد على إثبات أن هذا الصبي ابنها لتتأكد قبل أن تُتمَّم الخطة بنجاح بعد انتظار إحدى وعشرين عامًا, بل بعد انتظار الروح سبعة وتسعون عامًا هائمة في اللامكان - مع أن سيف لم يكن بحاجة إلى أية دلالات على أنه حفيد راسبوتين - .. في الحقيقة كان تغير مسار الأحداث الأخيرة أكثر ما خدم مخططها الذي وضعته لها جدتها ولقنتها كل تفاصيله بعناية, فتحول سيف من العيش مع وفاء والتي كانت تعمل بنفس الملهى للعيش في بيت عمته ودراسته الأزهرية, وسطوع نجمه الإعلامي وتحول البرنامج السياسي ليخدم موقفه, جعل الأمور أكثر يسرًا من ذي قبل فهو الآن يمتلك سطوة سحره على عدد كبير من الشباب فما بالك بعد إتمام الاستحضار ! سيكون جدها الأعظم سعيدًا جدًا داخل هذا الجسد بكل تأكيد ..

الأجواء كانت في غاية الملائمة لتلقي الحدث الجلل, إلا أنها لم تبقَ في طور هدوئها كثيرًا, فبعض المتمردين قد هدموا كل الخطط المعدة وبات سيف على محك الخطر !!.

٢٠١٣/٦/٣٠

ثورة المتمردين على حكم المتأسلمين وانهيار دولة المرشد في غضون أربعة أيام فقط بعدما أعلن بيان القوات المسلحة عن دعم الجيش للشعب الثائر وانتصار إرادة الشعب على الحكومة المنتخبة بعدما أثبتت فشلها في تحقيق طموحات الشعب في إدارة البلاد .. فقد تشتت الحكومة والإدارة كلها في نزاعاتها وصفقاتها الخاصة وتركت هموم الشعب الفقير تتفاقم , إثر تلك الأحداث أُغلقت الكثير من القنوات الدينية المروجة للفتن بقصد حماية الأمن العام .. قمع من نوع جديد ... أفقد رجال الدين المُسيَّسين مراكز قواهم , اهتزت عروشهم وانهارت وسقطوا بميدان النهضة منددين بأحكام الثورة الجديدة, سقطت الأقنعة عن الكثيرين منهم واهتزت الثقة بكل ذي لحية, وتحولت أحلام الفتيات للبذلة العسكرية والوجه الحليق الناعم, أما سيف ..... ! فعليه أن يسترد عرشه ..!.

اللعبة الآن تتمحور حول إقناع رجل الشارع البسيط بنفس الخدعة والذي ما عاد يقتنع بشيء ولا يثق بأحد, لكن آفة مجتماعتنا النسيان وسيف الآن عليه أن يسيطر بسحره ومواهبه الكامنة آن لها أن تظهر للنور ليسترد مركزه .. !.

انشغل سيف بواجبه الذي أوكله إياه د/مجدي ...لابد أن يعيد الثقة بمهارته والفرصة سانحة وممنهجة مسبقًا ..رمضان ٢٠١٣/٧/١٠ سيبدأ بتسجيل حلقات لتذاع يوميًا , كان يبذل مجهودًا جبارًا في تصوير الحلقات كل كلمة محسوبة بدقة ولا مجال للأخطاء أو إعطاء فرصة للمعارضين

لتؤخذ عليه أي كلمة تشوب موقفه , لابد أن يظل على الحياد من الأحداث الجارية ويركز كل مجهوده للظهور بمظهر الداعية الوسطي المثقف , لابد من التدقيق في كل حرف قبل أن يخرج ليُحسب عليه .

كان يعود لمنزل والدته القديم فيجد وُريْقات ملقاة أسفل عتبة الباب تحمل أرقامًا وحروفًا غير مفهومة , جزء من التعويذة التي قررت ماريا البدء بالعمل بها فليس لديها وقت لتضيعه, كانت الوريقات تشبه إلى حدٍّ كبير لعبة الكلمات المتقاطعة, كان الخط الذي كتبت به يثير ريبته, خط باللون الأحمر كأنه كُتب بالريشة والدم .. أحس سيف بمؤامرة تحاك له في الظلام , مِمَّا أثاره حقًّا رسم يشبه القلادة بين تلك الحروف, كانت تعويذة كتبتها ماريا لتكشف عن مكانها , التقط الورقة ونظر إليها جيدًا وتذكر قلادته التي كف عن ارتدائها منذ عدة سنوات ..

بشغف دلف لحجرة وفاء , قام بتشغيل المكيف للهروب من حرارة تحرقه الشديد لمعرفة لغزّ تلك الأوراق والذي فاق درجات الجو الكائظ , بدأت جُعبة الذكريات تتفتق بداخله فأخرج صندوقًا أنيقًا من خشب الأرز يحمل بداخله مجوهرات والدته , بدأ يتفحص القطع غير آبهٍ بجمالها وذوقها الرفيع , تذكر وفاء وداهمه الحزن بتفاصيل حادثة الفندق , أسفل كومة المجوهرات وجدها أخيرًا , عُلبة قطيفة لونها أزرق يعرفها جيدًا , هي العُلبة التي احتفظ بقلادته داخلها , أخذ يقلب فيها واندهش حين فتحها ووقعت عيناه على الصورتين الملصقتين بداخلها مدون أسفلهما بالحفر تاريخين يعرف أحدهما جيدًا هو تاريخ ميلاده أما التاريخ الأخر فهو تاريخ وفاة والده لكن العام مختلف ١٩١٦!!.

حدق مستغربًا للصورتين , دقق بصورة الراهب ذو الثوب الأسود, وكأن الصورة قد مرت عليه من قبل, ربما سبق أن رآه بصفحات الإنترنت لكنه لم يستطع أن يذكر اسمه , قفز من فوق السرير وأحضر حقيبته وأخرج منها الحاسوب المحمول وفتحه على محرك البحث .. إمم .. إمم .. ماذا سأكتب !!. ربما أبحث في الصور عن كلمة راهب قد أجد ثمة شيء يدل على هويته .... هكذا كان سيف يحدث نفسه أمام الحاسوب وهو يطرق فوق لوحة المفاتيح .. دقائق ينتظر البحث مرت عليه طويلة مع قصرها ... أخيرًا عاد الرد بعد أن تعثر في كوْمة من صور رهبان الأديرة وجد صورته بآخر الصفحة , هو , هو لا أحد غيره , نفس الصورة والملامح , فتح الصورة مرت ثوانٍ أخرى بطيئة حتى تم تحميل الموضوع ..

**«غريغوري راسبوتين - ويكيبيديا , الموسوعة الحرة « هذا هو العنوان الذي احتوى على صورة الراهب الموجودة بالقلادة , حيث وجد بداخله المزيد من الصور والمعلومات عن نفس الشخص , وبدأ يقرأ كل ما ورد عنه بالموسوعة .**

العجيب أن كل ما كان يقرأه عن قدرات راسبوتين الخارقة كان يمتلكها ولكن بشكل مصغر ! التاريخ المكتوب على القلادة أسفل الصورة كان نفس تاريخ اغتيال راسبوتين , نفس اليوم الذي غرق فيه إبراهيم ! أما التاريخ المقابل كان تاريخ ميلاده والذي لم ينسَ يوم حدوث كارثة برج التجارة العالمي يوم أكمل التسع سنوات, كيف تتشابه التواريخ هكذا في حياته ! ما سرّ وجود صورة هذا الشخص بقلادته ومن أين جاءته ؟, ولماذا كانت والدته تلبسه إياها ؟. هل لها علاقة بقدراته الخارقة التي يتعمد إخفاءها

خوفًا من إثارة الأقاويل حوله ؟. ما علاقته بهذه الصور والتوارخ ؟.

مر شهر بأكمله وسيف يقتله الفضول , تتزايد الأسئلة برأسه لم يكف معها عن البحث عن كل ما يتعلق بجريجوري راسبوتين واكتشف أن الصورة الأخرى لابنته ماترينا , لم يفقده انشغاله بالبحث عن سر القلادة حماسه بالعمل , كان في تلك الفترة يسجل حلقات برنامجه الذي ينتظره آلاف المشاهدين يوميًا , كان يهرب من صراع الأسئلة التي تدور برأسه بالانشغال بالعمل , بخلاف دعوات الإفطار الجماعي التي انهالت عليه من الكثير من الجهات المُهمة والجمعيات وغيرها ..

# حفل إفطار جماعي

فيصل : حيث شاء القدر أن تصله دعوة الإفطار الجماعي لإحدى أيام الشهر الفضيل .. لم يكن صائمًا يومها ولا أي يوم من أيام هذا الشهر .. ذهب قبل الموعد المحدد , جلس بركن الضيافة يحمل كتابًا بيده يبدو من بيانه أنه لم يقرأ به حرفًا ولا حتى التمهيد !. كتاب عن الإلحاد .. ظل يحدق بعنوانه متصنعًا التفكير العميق, يدبر ليجد نقطة يفجر منها النقاش ! كان ينتظر ثمة أي شيء يحدث كي يكون مدخله لجدال لا ينتهي تمرَّس عليه مرارًا وتكرارًا , حيث لا يكف عن بث أفكاره الخربة في عقل كل من وضعه القدر في طريقه .. أحيانًا يدعي النبوة ومرات أخرى يقول عن نفسه الشيطان ذاته .. بدأ حديثه منكرًا أنه ملحد بالأساس فتقنَّع بوجه الحائر المتخبط المتشكك الذي ينتظر طوق النجاة من شخص يثق بمعطيات دينه ليمد له يد العون ليخرجه من دوامات الشك لبر اليقين, ومن هنا يكون مدخله البريء من أي شائبة لنقاش يبدأ بشكل سلس لينتهي بكارثة .. !.

في الواقع كان يقصد سيف تحديدًا عندما نصب هذا الفخ , فسقط سيف في دائرة التنظير , قضى يومًا مهلكًا في نقاش عقيم , كان السؤال يُرد بسؤال وكل منهما مُصِرًا على تشكيك الآخر فيما يعتقد ولديه كل الحجج والبراهين لذلك , لكن سيف لم يستسلم لسقوطه، بل قاوم ببسالة وخرج من الجدال منهكًا مشتت الذهن , متعبًا لكنه خرج ليس خاسرًا ولا مُنتصرًا ,, غادر الحفل متوجهًا لمنزله القديم, جلس في عُزلة يتأمل القلادة والصورة التي بداخلها , يفتح صفحات الإنترنت يبحث ويقرأ المزيد والمزيد من المعلومات التي انتصب لها شعر جسده بالكامل , كان ينظر للمرآة ويقارن ملامح وجهه بتلك الصورة , يا للعجب .. !.

خرج من منزله في وقت متأخر لا يعلم وجهته , أمام البيت وجدها ....

# فريدة

فريدة اسمها الحقيقي وشهرتها فيونا , هي اختارت لنفسها هذا الاسم حين بدأت في قرع أبواب الشهرة , اسم غير اعتيادي يصنع لها المجد سريعًا ويعلق بأذهان المنتجين والجمهور أيضًا , لن ينسى أحد صاحبة الاسم الغريب والعينين الخضراوتين الأغرب ببرائتهما شديدة الشبه ببراءة عين أميرة فيلم الرسوم المتحركة الشهير (Shrek) ....حبيبته الأميرة فيونا Princess) Fiona ) التي باعت الملك والجاه من أجل أن تحظى بالعيش في كوخ حبيبها الذي حررها من السحر .. !

قرعت فيونا أبواب عوالم المجد والشهرة بعدما درست الإعلام, ولجت لغابات المجتمع ببراءتها ... أول سقطاتها زواج مبكر من شاب يكبرها بعدة أعوام يعمل محاسب بإحدى الشركات الخاصة وهي مازالت في سنوات الدراسة.. السقطة الأعظم في حياتها والتي كلفتها من عمرها ومسارها الفني أربع سنوات .. كانت مثل أميرة الرواية تمامًا حين أسقتها الساحرة تعويذتها في فنجان الشاي لتوافق بملء إرادتها على الزواج من ابنها ليرث الحكم , لكنها يوم زفافها لم تجد فارسها آتٍ لينقذها , استمر زواجها عدة سنوات خرجت منه بطفلين وزوج مازال طفلًا هو الآخر لا يحمل معها أي مسؤولية, ترك لها كل الأعباء ملقاة فوق كاهلها والسحر الأسود بات يغادرها تدريجيًا بعدما يأس الجن من قدوم الفارس الذي سيحررها ! بدت الغيمة تنْقشع وشمس الكون تسطع أمام عينيها الخضروتين, وتساءلت ماذا فعلت بعمري ! هدر نصفه والنصف الآخر يراق في أزقة

ضيقة مظلمة .. لطالما حلمت بالشهرة .. كم تمنت وسعيت بأحلامها إلى أكوان إعلامية لامعة الأضواء , ولكن أين هي من كل هذا الآن ؟ هدرت سنوات عمرها بزواج أحال عودها الرطب إلى جزع شجرة بلوط .. تدمن الشيكولاتة والآيس كريم .

حتى في الفيلم لماذا لم تكن أجزاؤه الثاني والثالث بنفس قوة وأهمية الجزء الأول ؟ لماذا لم يحظَ على نهم الجمهور في متابعة تلك الأحداث الممتعة ؟ فقط لأن الأحداث لم تعد ممتعة لأن فيونا في الجزء الأول كانت تنتظر حبيبها والذي غامر بحياته من أجلها , أما في باقي الأجزاء فهو مجرد زوج يدافع عن حقه في امتلاكها ويرفض التنازل عن شيء يملكه .. احتفظت عيناها بالبراءة والوجه بطفولته لم يصدق كل من رآها أنها أم لطفلين .. امتنعت عن إدمانها للشيكولاتة والآيس كريم بعدما غادرها السحر الأسود .. سافر زوجها للعمل بإحدى الدول العربية بعدما كسد الإقتصاد مع تغير الأوضاع السياسية , فتحررت هي منه إلى الأبد , قابلت فرسان كذَبَة؛ منهم من أرادها أميرة في مدن الخيال، ومنهم من لا يأبه أن يقتسمها مع غريم آخر، ومنهم من ألح في إغوائها لترك حياتها لتبدأ معه حياة جديدة، بل مأساة جديدة تتكرر بها نفس الأحداث المفجعة وتدخل معه في دوامة السحر الأسود من جديد , لذلك أغلقت قلبها بأقفال غليظة وتركته بركن قَصِي بين ضلوعها يكمل مهمته البيولوجية.

كانت أصغر أخواتها وأجملهن , ورثت ملامح والدتها الأجنبية الأصل (صوفيا) والتي أصبح اسمها صفاء بعد أن تزوجت من والد فريدة .. كلمات المدح لم تكن غريبة على أذنيها, دائمًا كانت الأجمل منذ نعومة أحلامها, لكن عقلها لم يستطع يوم استيعاب تلك الأكاذيب والبلاء الذي

تعصف به الحياة فوق هشاشة براءتها , كانت تنتظر فارس على جواد أبيض عيناه تلمعان مع هالة النور الناطقة حول وجهه .. هذا الذي لم تتوقع يوم أن يأتي !.

قناعتها الشخصية ترى أفضلية الانفصال عنه منذ البداءة واعتزال كل الموروثات الاجتماعية العقيمة التي تعوق حياتها وضرورة خوض التجربة والاحتكاك بالمجتمع لتحقيق أحلامها ..لكنهم الأهل ونصائحهم التي لا تنتهي «بيتك وأولادك أهم « كلمات ترددها كل البيوت المصرية لتدفن رؤوسها في الرمال وتدفن معها الكثير من جثث الطموح المقتول .

حفلات , لقاءات , تجارب آداء وصخب الوسط الفني ومجونه .. تحاول خوض كل هذا بمفردها دون أن تلوث براءتها أو تطفئ النور المنبعث من عينيها , تقابل وحوش جائعة فكيف تروضها ! ستمتلك ذات يوم الخبرة ولكن هل عليها أن تدفع الثمن لاكتساب تلك الخبرة ؟. كيف لطفولتها أن تربي أنياب , تلك التي مازالت بأسنان لبنية في مجتمع الوحوش .. !!.

كتبت لهم خطاب وضمته لمجموعة الرسائل التي لن ترسل لأحد :

**مع كل رواية أنهيها تنتهي قصة عشق ,, هم من يبتدأونها وينهونها على مشارف اقتناع قلبي بالحبكة الدرامية الواهية , تنكشف طبيعتهم في الفصل الأخير من القصة لتنتهي بخيبة أمل , كنت أرتجف حين أحدث أحدهم ولا أعرف السبب , ارتباكي يجعلني أتوهم صدقه , ولساني يحجم عن أي رد , فيجعله ييأس أو يمل في اللحظة الفاصلة قبل النطق بالاعتراف فيرحل , أجمل ما في الحب اختبارات الصبر التي تأتي بنتيجة واحدة غالبًا**

**«لم ينجح أحد» لأن المشاعر هشة منذ البداية ولأنهم كانوا طلابًا غير مجتهدين غير صبورين على تحصيل الدرس قبل الإجابة عن أسئلة قلبي للطالب المتفوق , كانوا جميعًا في مستوى العاشق البليد الذي ينتظر امرأة من ورق امتلأت تفاصيل أنوثتها بألغاز سهلة التفسير , ينتظرون ظهور كلمة فائز بآخر اللعبة ليتحولوا لمستوى آخر يتعهدون في بدايته بتحدي الفوز, يجيئون محملون بالأسئلة هم أيضًا , يختبرون بأنوثتي ذكورتهم , وحين تعجز الإجابات يهبطون لمستوى أقل كي لا يصيبهم إحباط , كانت الإجابات كلها تبحث عن إخراج معنى الرجولة , تأتي للنفس لا للجسد , لغتي لم يعد أحد يفهمها في عصرنا هذا ؛ لذا لم ألتقِ بالحب حتى الآن ...**

كانت فريدة بنفس حفل الإفطار , جزبت نظراته في أول الأمسية , كانت تنصت باهتمام للنقاش الدائر بينه وبين فيصل , انبهرت بقوة ردوده وعدم انسحابه من الجدال أمام خصمه القوي الملم بكل النقاط القاتلة , كان يصعقه في مقتل فيهرب منه سيف بدهاء فارس مقاتل , كانت مبارزة مبهرة بينهما خرج منها سيف منتصرًا لأتباعه وخرج منها الآخر بلا أتباع ..

توجهت نحوه بخطوات سريعة , فتوقف على الفور , ألقت عليه التحية بهزة رأس خجلة , ويديها أمام صدرها تطقْطق أصابعها في توتر بالغ , تعجب سيف من اضطرابها الظاهر :

- كيف أستطيع أن أخدمكِ ؟

قالها في توتر أشبه للتعجب من وجودها بالشارع في هذا الوقت المتأخر.

- في الواقع كنت معك بحفل الإفطار اليوم واكتشفت في طريق

العودة أننا نقطن في نفس الحي , أقصد بيت والدي هنا في البيت المقابل لكَ ..

وأشارت بيدها نحو الشرفة المفتوحة وأكملت .. كنت أود أن أتحدث معك قليلًا .. و..

قاطعها سيف

- غدًا .. إمم إذا قبلتي دعوتي على فنجان قهوة بعد الإفطار !.
- بكل تأكيد.
- غدًا موعدنا بإذن الله في تمام الثامنة مساءً في المَقْهى الموجودة بأول الحي .
- إن شاء الله سأكون هناك في الموعد .

## الجمعة ٢٠١٣/٧/٢٦
## يوم المجزرة ...

كان الجيش قد دعا في بيان رسمي صباح يوم ٧/٢٤ لحشد الشعب في الميادين لتدعيم ثورة ٢٠١٣/٦/٣٠ والتي دعت للانقلاب على نظام حكم الجماعة الإسلامية وانتصرت , وقد طالب قائد القوات المسلحة المواطنين بالحضور في الميادين لتفويض الجيش للتعامل مع العناصر الإرهابية والقضاء عليها وعلى ما تسببه في أنحاء البلاد من أعمال عنف وشغب .. !.

بعد الانتهاء من تصوير الحلقة حاول العودة مسرعًا لبيته قبل موعد الإفطار لكن المسيرات المحتشدة بالشوارع أحالت دون ذلك فاحتبس المرور لساعات طويلة , اضطرته لأن يكمل يومه داخل عربته , أخرج الوجبة التي ابتاعها للإفطار وتناول جزءًا منها دون شهية عندما سمع صوت الآذان , ردد بعض الدعوات وانتظر , الوقت يمر والمرور لا يتحرك قيد أنملة , نظر لساعته بتوتر , العقارب تقترب من الثامنة وهو مازال عالقًا وسط الزحام . تصلّب المرور , تصلب قلبه هو الآخر وأحس بالفقدان لموعد اللقاء الذي كان ينتظر حلوله بشغف، فمنذ لقائه الأول بها يشعر بالانجذاب نحوها حتى أثناء النقاش العقيم بينه وبين فيصل كان يختلس النظرات بين الحين والآخر لعينيها لم يصدق القدر الذي ألقى بها في طريقه بنفس اليوم تطلب الحديث معه, لكن القدر سحب هديته وقرر عدم إتمام اللقاء !!

فريدة تجلس في المَقْهى تنتظر, تنظر لشاشة هاتفها الذي أوشكت أرقام ساعته من إتمام التاسعة , الوقت يتسرب من بين يديها وهو لم يأتِ ! لابد أنه لم يرغب في هذا اللقاء , لابد أن ظهورها أمامه من جوف العتمة قد أصابه بالفزع , لابد أنه ظنها مجنونة ! فحدد الموعد فقط ليختفي هو من أمامها في جوف الليل ويتخلص من هذا الموقف .. !!.

ظل معلقًا بالطريق تتفاقم خطورة الأحداث حوله .. متحصنًا بصفيح سيارته وزجاجها , إلى أن انقض عليه حشد من المتظاهرين لا يعرف لأي فصيل ينتمون , انهالوا فوق زجاج سيارته بالشُوم , احتمى سيف بدواسة الكرسي الأمامي إلى أن عبرت الضجة وتهشم معها هيكل سيارته الخارجي وزجاجها وامتدت إحدى الأيادي داخل سيارته وسرقت حقيبته بكل محتوياتها .

ترجل خارج الهيكل المهشم والذي كان يسمى فيما سبق سيارة , سيرًا على الأقدام حاول العودة لبيته من شوارع جانبية ليتحاشى الاحتكاك بالمسيرات التي عجَّت بها ميادين وشوارع القاهرة .. بعد رحلة من الانهاك الشديد عاد يجرجر قدميه وكدمات الهجوم الشرس جلية على وجهه وثيابه , لمحته فريدة من شرفتها فقفز قلبها ألمًا حين تبينت هيئته الرثة وأدركت أن تأخره عن الموعد لم يكن بمحض إرادته , فهرعت من شرفتها إلى الشارع لتستقبله , أسندت يده فوق كتفها كأنها تحمله وصحبته لباب شقته وهو يهزي بكلمات مهزوزة وغير واضحة عن اعتذار , موعد , حشد , تكسير .. كانت حرارته مرتفعة ووجهه تملؤه الخدوش من زجاج السيارة المحطم يتصبب فوقها قطرات العرق لتحرقها , خلعت عنه مِعْطفه وحذاءه , قدماه ينبعث منهما نار كأنه كان يحطم الرقم القياسي للعدو حافيًا فوق

رمال الصحراء في ظهيرة يوم كائظ , أحضرت إناء كبير ووضعت به الماء ومكعبات الثلج وأخذت بعض المناشف النظيفة وبدأت تبللها وتضعها فوق جبينه وقدميه بعدما أراحت جسده فوق الأريكة , كان يهزي بكلام كثير لا معنى له ! مناجاة شيطانية وكلمات بلغة غريبة لم تسمعها من قبل , أحيانًا كانت تتشنج عضلة يده أو قدمه فيرفعها فجأة مسقطًا عنها المنشفة المبللة أو يشير بإصبعه نحو السقف وهو يردد الكلمات المبهمة كأنه يتحدث إلى أحد ما في فجوة زمنية غير مرئية .. انتابها حالة من القلق والخوف لكنها استمرت في عمل الكمادات ..!

ظهرت من العدم فجأة أمامها في قاعة الاستقبال بشقة سيف فتذكرت أنها تركت باب الشقة مفتوح , حدقت بتفاصيل السيدة الغريبة التي دخلت من الباب دون استئذان , سيدة أربعينية لم يؤثر العمر على لون شعرها الذهبي المصبوغ ولا على ملامح وجهها الأوربية , عودها الممشوق الطويل يلتف حوله بشغف فستان أنيق وردي اللون من قماش رقيق ويديها العاريتين من أية أكمام تدلت واحدة بجانبها تحمل حقيبة بيضاء مُذهَّبة تبدو باهظة الثمن والأخرى موضوعة فوق فمها الفاغر من الدهشة حينما رأت سيف على حاله ..

تفوهت أخيرًا ببعض الكلمات الغير مفهومة تتخللها بعض العربية الركيكة , لاحظت فريدة مدى التقارب بين اللغة التي تحدثت بها وتلك الكلمات التي نطقها سيف أثناء هذيانه .

جلست فوق الكرسي الملاصق لسيف دون استئذان أو سؤال عن هوية المرأة الأخرى التي تركع بجواره تضمد جروحه وتصنع له الكمادات ..

ذهلت فريدة من جرأتها وأحست بإحراج شديد إذ ربما أنها قريبته , أكملت دورها في عمل كمادات الثلج فوق جسد سيف المسجي أمامها فوق الأريكة وهي راكعة على ركبتيها في خجل شديد .

مرت ساعة تلو الأخرى قبل أن يظهر على سيف بوادر الإفاقة قرب الفجر , والمرأتان تجلسان بجواره , حدق بوجهيهما لمدة دقيقة ثم عاد وغفى مجددًا , كان يململ جسده بتشنج لينفض عنه أثار النمل السارح في عروقه من الرقاد , مسح فوق وجهه بيده كأنه يحاول التأكد من أن ما يراه صحيح , حدق بوجهيهما مجددًا ولم يستوعب الموقف ,استسلم !.

وقفت المرأة الأوربية الملامح متجهة نحو الممر المؤدي إلى حمام الشقة , فتركتها فريدة ولم تَنْبِس , خرجت بعد خمس دقائق فقط ويبدو عليها الاستعجال .. كانت تغلق حقيبتها وتتجه نحو الباب مودعة المرأة الأخرى بابتسامة صفراء .. غادرت البيت دون أن تفهم فريدة سبب وجودها أو سبب رحيلها المفاجئ .

عند بزوغ أول شعاع للشمس أفاق سيف أخيرًا وبدأ يستطلع الأفق حوله , تخبطت يده برأس فريدة الساقط على طرف الأريكة بجواره فغادرها النعاس سريعًا واعتدلت جلستها .. فركت عينيها ووقفت من فوق البساط الذي قضيت الليل تجثو فوقه كأم حنون تخشى على طفلها من تأثير الحمى , كانت قد تخطت كل الخطوط المسموح بها للبقاء خارج المنزل ولا تعرف أي مبرر سيشفع لها فعلتها ..

- حمدًا لله على سلامتكَ.

نطقتها مبتسمة لتحرضه على النطق فرد عليها بصوت واهن ونظراته

تستفسر عما حدث أمس .. حاول الوقوف من مضجعه الغير مريح , فبدأت تذكره بأحداث الليلة الماضية

- رأيتكَ تترنح وأنا بشرفة والدي وأدركت أنك مصاب لا أعلم من ماذا , لكن حرارتكَ كانت مرتفعة جدًّا وكنت تهزي, ضمدت لكَ الجروح وصنعت لك الكمادات ,(تعثرت ملامحها بالقليل من الغضب وهي تكمل جملتها محولة نظراتها نحو ركن بعيدٍ ) كانت هناك سيـ..

- نعم .. أذكر أني رأيت امرأة أخرى حين أفقت , لا أدري من هذه! لكن ملامحها ليست غريبة .. لا أستطيع تذكر أي شيء عنها الآن .

قبض رأسه بين يديه يحاول أن يتذكر شيئًا لكن عقله قد رفض .

- ظننت أنك تعرفها جيدًا , أو أنها قريبتكَ ! تعجَّبتُ كيف غادرت فجأة قبل أن تطمئن عليكَ !.

قالتها وبهت وجهها , من هذه التي سمحت لها بالمكوث بالبيت !! يبدو أنها اقترفت خطأ فادحًا بصمتها !!.

لاحظ سيف صدمتها وتوترها فترفق بمشاعرها محاولًا تغيير الموضوع :

- تصوري أنتِ أيضًا لم أعرفكِ في البداية مع أن ملامحكِ مطبوعة بذاكرتي , لكن شكلك تغير قليلًا عن يوم الحفل !.

ارتبكت فريدة وتحسست خصلات شعرها وهي تنظر لركن قَصِي مجددًا لتهرب من نظراته المحدقة بها

- إحم .. ربما تسريحة شعري مختلفة .. لقد قصصته أمس .

- أها تذكرت , أرجوكِ لا تفسديه مجددًا وجهكِ الطفولي المستدير لا يليق بشعر قصير , وأنا أحب الشعر الطويل جدًّا .

يا الله .. أحمرت خجلًا ,.. حتى شعرها أفسدته , استأذنت بالانصراف

على عجل .

- الحمدلله أنكَ بخير, بعد إذنكَ سأذهب الآن .. سجلت لكَ رقم هاتفي على ورقة بجوار الهاتف إذا احتجت أي شيء أو شعرت بأي تعب لا تتردد في مهاتفتي .

حملت حمرة وجهها واختفت بخطوات سريعة متوترة , صعدت لبيت والدها بقدمين لا تكاد تلامس الدرج وكأنها طائر خفيف يحوم في الهواء المنعش , كانت لمسة اهتمامه بتصفيف شعرها كالسحر الذي لم تراه يومًا من أحد , المرأة تعشق التفاصيل وتعشق الرجل الذي يهتم بتفاصيلها , دلفت لحجرتها باستعجال قبل أن يداهمها سؤال والديها عن تفاصيل غيابها أو يكشف أحد سر لمعان عينيها , كانت تريد إخفاء روعتهما عن أي كائن يسرق من داخلها النشوة أو يسقطها من فوق سحابة الأحلام إلى أرض الواقع , كانت تحلم , تحلم وتطير داخل حلمها بحرّية .

أعد إبريقًا من القهوة التركية و وقف تحت الماء البارد لفترة يستنزف معه بقايا اليوم المكتظ بغبار الأحداث الصعبة التي مرّ به , كان الماء يغادره كالعادة يتجاوز الالتصاق بجلده لكن رغوة الاستحمام تساعده قليلًا على إتمام مهمته , خرج منتعشًا ملتفًا بالبَشْكير حول خصره يبحث عن ملابس نظيفة بغرفته , لمح باب الغرفة الأخرى مُواربًا , غرفة وفاء , فلم يعبأ به , أحضر شطيرة صغيرة وإبريق القهوة وجلس أمام الحاسوب الكبير بغرفته يعيد البحث الذي فقده مع حاسوبه المحمول في الحادث , أدخل كلمات البحث وظل يحدق في الصورة , تسرب منه الوقت أمام الحاسوب , وفكَّر أن يحضر القلادة من الغرفة الأخرى لكنه تذكر , لابد أن يحرر محضر بالاعتداء والسرقة أولًا , ارتدي ملابسه وتوجه إلى أقرب قسم من موقع

الحادث ليحرر المحضر .

عاد مساءً منهكًا , نام بعمق إلى صباح اليوم التالي , بدأ يراجع جدول أعماله فوق طاولة الإفطار ..لم يصُم اليوم أيضًا ولا يهتم كثيرًا بالصيام , كل ما في الأمر مظاهر لابد من الحفاظ عليها , أنهى فطوره وشرب فنجان قهوته , توجه ليحضرالقلادة من غرفة وفاء وبابها لم يزل مُواربًا كما هو , دخل إلى الغرفة وفتح صندوق المجوهرات فلم يجد العُلبة القطيفة الزرقاء بداخله , بحث في كل مكان بالغرفة فلم يجد شيئًا , ومع أن صندوق المجوهرات لم تنقص منه قطعة واحدة عدا العُلبة الزرقاء , بحث مجددًا كالمجنون لا شيء، خرج مندفعًا يبحث عن الورقة التي تركتها له فريدة مدون عليها أرقام هاتفها , ضغط الأرقام بتوتر شديد وعصبية بالغة , سمع صوت رنين الهاتف على الطرف الآخر ثم سحب نفس عميق محاولًا أن يهدئ من روعه ليستطيع إدارة الحديث بهدوء , قبل أن يزفره بالكامل جاءه الرد بصوت فريدة الرقيق وهي لا تعلم بعد ما وراء هذا الاتصال ..

- ألوو ..
- السلام عليكم .
- وعليكم السلام .. سيف !
- أها .. أنـــا
- كيف حالك الآن ؟.
- الحمدلله , بخير , إطمئني .. فقط كنت أريد أن أسألكِ عن ...
- إذا كنت في حاجة لأي شيء أطلبه مباشرة لا تتردد ..
- أشكركِ .. هو مجرد استفسار ليس إلا ..
- اتفضل ..بكل سرور.
- إمم ..

- خيراً !!.
- عندما كنت في غيبوبة , إمم .. هل دخل أحد إلى غرفة والدتي ؟.
- ماذا ؟.
- أنا أستفسر فقط .. لا أعرف ..
- ماذا حدث .. ؟.
- اختفى شيء من الغرفة .. تعبت في البحث عنه ولم أجده .. أنا آسف لم أقصد شيئًا من سؤالي فقط مجرد استفسار ..
- كنت طوال الوقت أجثو بجانبكَ أضع لكَ الكمادات .. المرأة الأخرى دخلت إلى الممر ...
- أها ...
- ظننتها ذهبت إلى الحمام أو .. لا أعرف تحديدًا .. خرجت بعد خمس دقائق وغادرت الشقة مباشرة بعد أن ارتسمت فوق ملامحها ابتسامة ما .
- هل قالتْ لكِ اسمها ؟.
- لا .. لم نتحدث مطلقًا .. ما هو هذا الشيء الذي اختفى ؟.
- لا عليكِ , سأحاول تذكرها .. أشكركِ وتقبّلي اعتذاري لم أقصد إزعاجكِ ..
- إزعاج ... ! لا عليكَ لم يكن سماع صوتكَ والاطمئنان عليكَ به أي شيء من الازعاج مطلقًا .. اهتم بنفسكَ ..
- أشكركِ .. سلام .

أغلق الهاتف وانفتح هَويس الأفكار ليغرقه بوجوه لا أول لها ولا آخر .. ظل ينبش حطام الذاكرة ويعافر الأمواج العاتية بحثًا عن قشة تنقذه من الغرق ..

أما فريدة فقد اجتاحها طوفان من نوع آخر .. طوفان دموعها التي بدأت تترقرق من عينيها دون مبرر , شعرت أنها تسببت بمشكلة ما لسيف , ربما ألقى عليها اللوم أو اعتقد أنها من أخذ الشيء الذي يبحث عنه , كان كل ما يشغلها هو سيف ذاته وليس الشيء الذي اختفى , لا تعرف كيف ترد له هذا الشيء الذي لا تعرف ماهيته كي تسترد ثقته بها ! ولماذا أصلًا تهتم لأمره لهذا الحد !. وكيف ستعيد إليه شيئًا لا تعرفه ! هي نفسها ما عادت تعلم شيئًا ...

بعد تركيز شديد وغوص عميق إلى قاع الذاكرة تذكرها أخيرًا , تلك الملامح يعرفها جيدًا إنها «ماريا» راقصة الملهى , زميلة والدته بالعمل ! أجرى اتصالات ليلغي كل مواعيده وذهب ليبحث عنها , عاد يجوب ملاهي شارع الهرم بعد انقطاع عدة سنوات منذ آخر سهرة له حين احتفل بذكرى رحيل أمه الأول في جو صاخب وعربد وثمل وتنبأ لرواد الملهى بالكثير من المصائب التي جاءت في الغالب صحيحة ! بحث عن أي شخص كان يعرفه لكنه لم يتوصل لشيء على الإطلاق , كل الملاهي تعاني ركود في هذا الشهر .. بخلاف قلة من السياح العرب لم يجد أحدًا غير بعض الراقصات الجدد , عرف من عامل الأمن أن الملهى قد تم نقل ملكيته لمالك جديد .. الأمر تعقد أكثر ! حمل حاله وغادر عائدًا بخيبته ...

عاد بخيبته مرهقًا , على العشاء اقْتاتت الأفكار رأسه , ألقى بجسده فوق الأريكة وبدأ يتفقد المجيب الصوتي , رسائل كثيرة تعدت العشرين رسالة !! بدأ يستمع لها واحدة تلو الأخرى .. كانت تلك الرسائل معظمها من فريدة عدا رسالتين من (الأُستوديو) يحدد موعد جديد للتصوير , بدأت رسائلها بصوت يتصنع الهدوء ثم تحول إلى التوتر والقلق ثم رسائلها تبكي

وتترجاه أن يجيب !! تسأله عما حدث متوترة وصوتها يرتجف برعشة باكية .. باكية لماذا ؟. ليس ذنبها ما حدث فقد علم بأن المرأة الأخرى هي التي استولت على القلادة .. شغفها ونظراتها المستمرة له يتذكرها جيدًا كانت تراقب صدره العاري ولا يعلم لماذا .. الآن قد فهم الأمر .. ربما كانت تبحث عن القلادة .. ربما .. لكن ما علاقتها هي بتلك القلادة ؟! عاد يتذكر بكاء فريدة لكنه قرر أن يتجاهل الأمر ولم يعاود الاتصال بها برغم اهتمامه إلا أن حالته العقلية لا تسمح بإعمال حالته القلبية الآن .. !.

٢٠١٣/٨/١٥

مرت أيام قلائل كدهرٍ ظل خلالها سيف شبه غائب عن الوجود , سابحًا في عالم من الأفكار والتحليلات التي لا تصل به لأي بر .. عثر مصادفةً على خبر بتاريخ قديم .. الإفراج عن صابر بعد أن أسقطت عنه كل التهم الموجهة إليه , قرأ تفاصيل الخبر وكأنه وجد طوق نجاة , بدأ بالبحث عن مصدر الخبر للتأكد من صحته , كان صابر هو طرف الخيط الأخير الذي سيصل من خلاله إلى ماريا ..

أثناء استمرار البحث وجد خبرًا آخرًا عن فض الاعتصامات المطالبة برجوع الرئيس المخلوع .. ظل كالمشدوه أمام شاشة الحاسوب , يشاهد مقاطع الفيديو , توقف شعر رأسه من التناقض الهائل في الآراء , غير أن صوت الجرس أخرجه من ذهوله هذا ..

توجه للباب بقدمين متخبطتين من هول ما رآه , نظر من العين السحرية فوجدها هي ... ماريا ... !.

خرج من ذهوله لذهول أكبر ..فتح الباب والتساؤلات تقفز من عينيه ولا يجد الإجابة .. هل يعود السارق ليدشِّن مسرح الجريمة بجريمة أخرى ؟ وما سر القلادة والصور الموجودة بها ؟ وما علاقة ماريا بالقلادة أو ما علاقته هو بها ؟ هل كانت لها وأتت لتستردها !!!!

- السلام عليكم .. قالتها ماريا بنبرة ركيكة راسمة ابتسامة فوق وجهها.
- وعليكم السلام ..

تنحى قليلًا من أمام مدخل الباب سامحًا لها بالدخول دون أن ينطق .. هي أيضًا بدأت بالدخول مباشرة دون أن تنتظر كلمة منه ..

بخطوات ثقيلة أنيقة , دخلت على مهل وكأنهما اتفقا فيما بينها على سبب الزيارة المفاجئة اتفاقًا ضمنيًا , فهناك الكثير ليتحدثا بخصوصه , صوت كعبها العالي فوق الأرض الخشبية يطرق صدر سيف بقوة دقات لم تتوقف بصعودها فوق السجاد وجلوسها على حافة الكرسي في نفس الموضع الذي جلست فيه أثناء غيبوبته حين أفاق لدقائق ورأى وجهها المصفر .. جلس هو الآخر فوق الكرسي المقابل وساد الصمت للحظات كادت خلالها أن تسمع وقع دقات قلبه المُتسارعة قبل أن يبدأ بالحديث بنبرة جافة ..

- أها ..
- كيف حالكَ ؟.
- بخير .. الحمدلله .. أ (؟)
- أعرف أنكَ كنت تبحث عني .. و .
- و.....
- .....
- بصراحة لا أفهم موقفكِ .. !
- ستفهم كل شيء في أوانه .
- أين الـ..

- القلادة معي لا تقلق .
- إذن أنتِ تعترفين ؟ لماذا أخذتيها بهذه الطريقة ؟. ولماذا جئتِ الآن ؟.
- كان لابد من إتمام بعض الأمور .
- أية أمور !! أنا لا أفهم شيئًا, ما دخلكِ أنتِ بقلادتي , هل صداقتكِ القديمة بوالدتي رحمها الله تعطيك الحق باقتحام حياتي والدخول إلى بيتي وأخذ القلادة أثناء مرضي ؟.
- سيفو .. أمكَ لم تمت ..
- سيفو !! أمي لم تمت !! أية خرافات هذه ؟.
- صدقني أنا أقول لكَ الحقيقة .
- أمي ماتت , ماتت أمام عيني ودفنتها بيدي وأخذت فيها العزاء على مرأى ومسمع الجميع .. وربما كنت أنا سبب موتها .....

دسَّ وجهه المُمْتقِع في نقوش السجادة , سارحًا بذكرى وفاة والدته وأحداث الفندق , كان يخجل من نفسه كلما تذكر .. وقفت هي أمامه لتضم رأسه بين كفيها وترفعها لتنظر مباشرة داخل عينيه لتواجهه بصاعق الحقيقة مجددًا.

- سيفو .. انظر إليَّ جيدًا .. أنا أمكَ سيفو .
- .....
- صدقني أنا أمكَ .
- أنا .. أنا لا أفهم شيئًا .. !

جثَم الصمت الثقيل على المشهد , عيونها تحدق بعيونه ملؤها الدموع والحنان وهو يحملق بها فاغرًا فاه , ظل الصمت بطل المشهد لما يقرب

من نصف الساعة .. حتى الأسئلة هربت كلها من عقله .. كسر صمتهما جرس الهاتف فلم يرد إلى أن أتى صوت على المجيب الآلي .. فريدة تبكي من جديد !!

في غرفتها جلست تبكي إلى أن أحمرت مُقْلتيها , وقفت أمام المرآة تنظر لعينيها الذابلتين فترقرقت الدمع منها بلا صوت تغلغلت بأصابعها بين خصلات شعرها الذي طال عن سابق عهده وتذكرت كلمات سيف «وجهك المستدير لا يليق بشعر قصير , لا تفسديه مجددًا , أحب الشعر الطويل « وكأنها تنتقم من شيء لا تعرفه أحضرت المقص وبدأت في قص خُصلات شعرها بشكل عشوائي وجلست تكتب خطابًا للسراب ..

**«قصصت شعري بيدٍ مرتعشة , كنت أتذكر كلماتكَ مع كل خصلة تتساقط حاضنة دمعة «وجهك المستدير لا يليق بشعر قصير , لا تفسديه مجددًا , أحب الشعر الطويل « حدقت بوجهي الماثل أمامي في المرآة فلم أعرفه , فقد استدارته , كان كقطعة الخبز الجافة المُبلَّلة في جِصٍّ صغير يأكل منه البط ... حركت يدي لتتغلغل بين الخُصلات المتبقية ولمست فرْوة رأسي التي لم تذق طعم اهتمامك يوم ولم تتعرف أنتَ على خارطتها, تلك الندبة التي خلفها حادث عرضي منذ طفولتي لم أتذكر منها غير وجه أبي المُتقِع وهو يحملني ليترك فرح أخيه الأصغر ليصل بي إلى أقرب مشفى ليوقفوا النزيف , لم أنتبه للألم يومها , ربما نزف ندبتكَ بقلبي يؤلمني أكثر للحد الذي لا يجعلني أقوى على البحث عن طبيب يوقف نزفه , والآن عدت إلى سابق عهدي وحذفت وعدكَ من بقايا خُصلاتي , تمنيت لو أحقق لكَ ولو حلمًا صغيرًا, لكن الأطراف ذبلت من الانتظار ولم يكن من المستحب بقاؤها فوق رأسي لتذكرني بخيبتي ورحيلكَ , حملتها ككوْمة قشٍّ يابسة تحدث صوتًا هشًّا كلما ضغطت عليها كأنها تتكسر**

**لفتات تشبه حطام ما تهشم من قلبي .. بكيت على خُصلات شعري أكثر من بكائي يوم ابتعادكَ , ربما لأن الأمل لم ينقطع من عودة ! أما بعد أن تخلصت من أطراف الذاكرة لا أعلم هل بقيت الجذور لتؤلمني ! ربما كان علي أن أجعل رأسي حليقًا تمامًا كي لا أتذكر ذاك اليوم وأنتَ ترمقني من بعيد على استحياء دون أن نتحدث أو نتصافح أيدينا ! قصصته بعشوائية لا أدري إلى أي اتجاه صففته , خُصلاته المصفرة الباهتة وشعرتين بلون أبيض تخترق الكُتلة الأمامية كصوت بوق يبزغ من العدم ليعلن عن شيب قادم ..**

قاطعها عن إكمال خطابها الذي لن ترسله إلى أحدٍ دخول ابنيها إلى غرفتها يتعاركان معًا عِراكًا شرسًا , صرخت بهما بشيء من المبالغة ففرا هاربين من حجرتها , دست وجهها في الوسائد وبكت بحرقة ..

زوجها الذي سافر ليشق حياة جديدة له تاركًا كل الحِمل على عاتقها , اكتشفت أنه تزوج من أخرى فطلبت الطلاق منه وها هي قضيتها معلقة بيد القضاء , جمالها الذي يَزْوي بمرور الأيام , حُلم صعب تحقيقه باقتحام عالم التمثيل , نبض قلبها المتصاعد إلى أن تصدعت جدران قلبها كلما رأت سيف , الموقف الغريب الذي اتخذه ضدها دون أن يكون لها أي ذنب فيما حدث ! مشاعر كثيرة متضاربة اجتاحتها جعلتها تفقد عقلها وتبكي حد الجنون ..

على الضفة الأخرى من نهر ظلام الشارع ترى أضواء الشقة واضحة , فلماذا لم يجب على الهاتف ! ولماذا لم يعاود الاتصال بها من يوم هاتفها سائلًا

عن شيء فقده ! وما كُنْه هذا الشيء الذي تسبب في كل هذا الخلل في علاقتهما ؟ .. ارتدت ملابسها وقررت أن تواجهه , لا تعلم ماذا ستقول له لكنها تريده أن يتحدث ويقول كل ما بداخله فالصمت والفضول شيئان يقتلان الأنثى ويدفعان بها نحو الجنون ..!.

على مدار ساعتين تقريبًا كان سيف يجلس صامتًا يستمع إلى ماريا كالمشدوه وهي تروي له جذور القصة الأقرب إلى الخيال منها إلى الواقع , لم تكشف له بعد سر القلادة , دق جرس الباب فقطع خيط الرواية , قام سيف مُرتبكًا , لم ينتبه من شدة الارتباك والتيه , فتح الباب دون أن ينظر من العين السحرية فوجدها أمامه , فريدة بعينيها الحمراوتين المُتورِّمتين من شدة البكاء .

نظر لها وتحول وجهه لينظر للمرأة الجالسة بالداخل , تطلعت برأسها فرأتها تجلس بالداخل ! تلك المرأة التي أنكر معرفته بها ..

- تفضـ ..ـلي

لم يكمل كلمته كانت فريدة تهبط الدرج مبتعدة , كادت تنْكبّ من سرعة خطواتها المضطربة , اصطدمت بكتف بائع اللبن فتساقطت الأكياس من يده أرضًا لتندفع وتُهدر فوق درجات السُّلم تمامًا كما أهدر كبرياءها في الحال أمام باب شقة سيف , بكت واعتذرت وفرت هاربة من وجه بائع اللبن الذي ظل يحدق فيها بتعجب لا يعرف ماذا يقول ! نظر بائع اللبن لفوق فوجد سيف يقف أمام باب شقته قبل أن يستدير ليجد ماريا تتأهب للرحيل «سيكون لنا لقاء قريب سيفو « قالتها وقبلت خده وغادرت دون أن تضيف كلمة واحدة أو تنتظر ردًا , هبطت الدرج بخطواتها الأنيقة

مُصدِّرةً صوت دقات رنانة مُتَّزنة بكعب حذائها , تحاشت النظر لبائع اللبن الذي ظل فاغرًا فاه محملقًا يحول نظره بينها وبين سيف ثم ينظر من فوق سور السُّلم ليرى الأخرى التي اصطدمت به وهو يُتمتم بكلمات غير واضحة ..

عاد سيف لشقته وأغلق الباب ليفتح باب آخر برأسه محاولًا ترتيب أفكاره وذكرياته المبعثرة المهدرة فوق سلالم العمر , هل يجدي البكاء على اللبن المسكوب ؟.

- أمي ..! حتى أنها لم تترك طرف خيط يُمكِّنني من الوصول إليها لتكمل لي روايتها الأسطورية.

كان سيف يكلم نفسه .. لابد أن الصدمة قد قادته للجنون !

- أمكَ لم تمت ..
- صدقني سيفو ..أنا أقول لك الحقيقة.
- لقيط !
- وفاء ..
- ماريا .. أمي !
- القلادة .. ماذا عن القلادة ؟
- ..... ماذا !
- أمكَ لم تمت !

أي جنون هذا .....!

توقف العمل بالمحطة التلفزيونية , قبض على د/ مجدي للتحقيق معه بخصوص اعتصامات طلاب الأزهر , سيف لم يعد يعرف من هو , من أم مغنية بالملاهي الليلية لأم راقصة .. الفارق ليس كبير , تاريخ أسود إجمالًا

.. لكن ماذا عن كونه داعية إسلامي ثم يكتشف أنه من أصول تنتمي لدين آخر ! عائلة يحفل تاريخها بالمفارقات كانت لفترة طويلة محط الأقاويل والشائعات والدراسة ولم يتوصل أحد إلى الآن للسر الذي يكمن وراء قدرات جده الأكبر «راسبوتين»

الوحش لا يبحث عن دين يصدقه المجتمع
ليأخذ صفة شرعية لعبادته،
بل يبحث عن مجتمع يصدقه ويعبده أيًّا كان
الدين !!.
فلكل دين أتباع , لكنه يبحث عن أتباعه هو

بين كل هذا التوتر الذي يمر به , عاد ليتصل بفريدة , كان في أشد الحاجة لشخص يسمعه بصدق , قص عليها الأحداث بالتفصيل وكانت خير مستمع , تحسنت علاقتهما بعدها ظلَّ على مدار ثلاثة أسابيع يتقابلان ويتحدثان بالساعات عن كل تفاصيل حياتهما , كانت لحظات سردها لمأساة حياتها تخرجه مؤقتًا من دوامة أسطورته , مأساته الكبرى .. ظهر فيض حنانه في مواساتها .

اقترب يوم ميلاده .. أخيرًا وصله هاتف من ماريا أخبرته بشكل مختصر «سيفو .. استعد لنبدأ الطقوس , يوم ميلادك سنبدأ , ستمتلك قوة عظمى وقدرات جدك الأعظم الخارقة , ستمتلك الروح , الجوهرة والجوهر , القوة العظمى سيفو « أغلقت الهاتف بعدما دارت برأسه كلماتها وتركته ليغرق بدوامة الأفكار ..

أعدت ماريا كل شيء لتتمِّم ما بدأته منذ أكثر من ٢١ عامًا , أول خطوة كانت منذ ذاك الحين أقامت علاقة مع أحد السكارى بأوربا وكان من أصل روسي , كانت تعرف تحديدًا ماذا تريد من تلك العلاقة التي ظن هو أنها مجرد علاقة عابرة للمتعة , تحقق بالفعل مرادها وحملت الجنين فحسابات جدتها لن تخطئ , كانت منجمة تعرف في علم الأقمار والكواكب وحساب النجوم والطالع , قامت ماريا بتنفيذ تفاصيل الخطة تمامًا كما قال دفتر جدتها بالحرف , الدفتر الصغير الأحمر الذي دونت لها فيه كل التفاصيل , سافرت بعدها إلى مصر وهي بشهرها الخامس حيث ستضع مولودها ليتجسد بالأرض الجديدة , وتتركه ليشرب من تقاليد هذه الأرض , انتهى الجزء الطويل من الخطة بانتظاره الممل ويبقى الجزء الحاسم الذي سيكتمل به كل شيء، ويكلِّل تعب وانتظار السنين .

أحضرت الصندوق الذي احتفظت به منذ وفاة جدتها , اطمأنت لوجود كل شيء بداخله , الدمية الصغيرة الشديدة الشبه بجدها الأعظم , قارورة السائل الأحمر الصغيرة , الخنجر الذهبي المنقوش بحروف غريبة , الدفتر الصغير الأحمر الذي يحوي بداخله تفاصيل الخطة , بَرْديّة التعويذة , وأخيرًا القلادة التي أعادتها مؤخرًا للمجموعة وأودعت بداخلها الفص الأسود (سرّ الاستحضار).

لم يذكر لفريدة شيئًا عن تلك المكالمة الهاتفية التي دارت بينه وبين ماريا , كان في حالة من التخبُّط والخوف , مسحورًا بالكلمات التي بثّتها بأذنه تلك الشيطانة الروسية , انتظر اليوم المنشود بفارغ الصبر وهو لا يعلم كيفية الوصول إليها إن لم تحضر لإتمام الطقوس , كان يشعر أن بداخله طاقة تدفعه بقوة لإتمام الأمر والتمتع بالقدرات الخارقة , أراد خوض التجربة أيًا كان الثمن الذي سيدفعه ..

مساء يوم ٢٠١٣/٩/١٠ حضرت ماريا لبيت سيف تحمل معها الصندوق , هو لا يدري ماذا سيحدث له تحديدًا لكنه استقبلها بشغف منتظرًا للحظة بدأ الطقوس ..

بعد انتصاف الليل بدقائق أخرجت الصندوق من حَقيبة أنيقة , خفتت إضاءة الحجرة وبدأت بفتح البَرْديَّة تقرأ ما كُتب عليها بلغة غريبة وصوتها أشبه للآداء المسرحي , أحس سيف للحظات أنه بمشهد من فيلم رعب سخيف , كان يظن أن الأمر سيقتصر على هذه التُّرّهات , هنا تناولت الخنجر الذهبي وأمسكت بيد سيف ومررته بمنتصف كفه , الغريب أنه لم يشعر بالألم مع أنه نزف الكثير , سالت الدماء فوق الصندوق

المُعدُّ من الداخل بتجويف من الفضة , وضعت فوقها الدمية الصغيرة الشبيهة بالجد الأعظم , تسربت الدماء داخل نسيج الدمية كأن الدمية تشربها بنَهم إلى أن احتفَت بداخلها كل الدماء المنسكبة بحيث لم يتبقَ أثر لقطرة دماء فوق التجويف الفضي أو على نسيج الدمية الخارجي مع غزارة النزف , فتحت الزجاجة المليئة بالسائل الأحمر الداكن «دماء الجد الأعظم» وسكبته بداخل القلادة المفتوحة , تحديدًا فوق صورة راسبوتين بعد أن وضعت فوقها الفص الأسود المتلألئ , في تلك اللحظة انبعث من داخل الفص طاقة نور هائلة بلون أحمر كأنه يتوهج نارًا بداخله , تسرب الضوء عبر فضاء الغرفة ليخترق جبين سيف الذي ارتد إلى الخلف من قوة الارتطام سانِدًا رأسه للوراء , عاد الضوء ينبعث خارجًا من عينيه بلون أزرق رائق خفيف يعود بدوره ليسكن داخل جسم الدمية , كانت الشيطانة الروسية منبهرة بما يحدث أمامها , اتسعت عيناها لتحتل معظم وجهها وكان باقى الوجه يتمثل في فم يكمل تلاوة التعويذة المكتوبة فوق البَرْديَّة بخط ذهبي منمق , أغلقت القلادة فوق الفص الأسود ثم أغلقت الصندوق مباشرة بعدها .

عاد سيف ليشعر بالوجود حوله , كل ما كان يتذكره بداية قراءة التعويذة والخنجر الذي مر بمنتصف كفه بعدها لم يدرك شيئًا مما حدث , حتى عندما عاد لوعْيه لم يكن هناك أثر للجرح بكفه ولا حتى مجرد ألم !.

كل ما كان يشعر به هو القوة العجيبة التي بداخله , كأن مجرَّات الكون تدور وتتصارح بمحيط جسده , أما روحه فكانت في مكان آخر ...

جاء صوت الشيطانة الروسية كفحيح الثعابين بأذنه بكلمات روسية قالت :

- بقيت خطوة واحدة سيفو , خطوة واحدة ستتم ليلة السادس عشر من ديسمبر , يومها ستكتمل الحقيقة , يومها ستتوحد روحيكما معًا.

حملت الصندوق وحقيبتها ورحلت وتركت سيف لذهوله , لقد فهم الكلمات الروسية التي تحدثت بها في الحال مع أنه لم يتعلم اللغة الروسية أو يتعامل بها يومًا.. !!.
فوق الطاولة , كان هناك الدفتر الأحمر الصغير , غفلت عنه ماريا وهي تجمع حاجيًاتها بداخل الصندوق .

أما فريدة التي لا تعلم شيئًا عن تطورات الموقف , صنعت تورتة صغيرة وكتبت خطاب بخط منمق :

**(عالق قلبي فوق الأسلاك الشائكة , يتمزق شوقًا وخوفًا , يعدو إليك فتنفرط قَطَبه الدقيقة ليخلف خلفه كومة من الخيوط المتشابكة يزداد بداخلها اختناقًا , حينها فقط يدرك أن طرف الخيط عالق بأسوارك التي لا يمكن اجتيازها , دع عنكَ سياج الشوك واترك له فسحة من ورود بستانكَ ينعم بداخلها بأريج الحياة , أنا وردة قطفت يافعة قبل أن ينبلج عطرها , اهتمام قليل قد يضمن لها العيش ليومين إضافيين لكنها حتمًا ستذبل قريبًا , وكل أمنياتها أن تحفظها بجلدة كتاب سميكٍ , لتزورها عيناك بين الحين والآخر )**

دسَّت ورقة الخطاب بداخل كتاب صغير , أرادت أن تخفيه فهي لا تمتلك الجرأة أن تعطيه له بشكل مباشر , حملت التورتة وبعض الكتب من بينهم الكتاب الذي يحمل بداخله الرسالة وذهبت صباحًا إليه , عندما فتح لها الباب نظرت إليه كأنها تراه لأول مرة , كان مختلفًا تمامًا , عيناه بهما شيء غريب كانتا تشع ضوءًا ما , ضوء أزرق كالذي انبعث منهما ليخترق جسد الدمية أثناء طقوس التحضير الشيطانية لكن بشكل أبسط , رقيق يخترق الروح بكثافة ساحرة , تاهت فيهما وسُلبت من الوجود تمامًا , هو لم ينطق ببنت شفة , كان يشعر بنهم لشهوات سُجنت لعقود طويلة دون أن تنقضي , كان كالوحش الجائع الذي يبحث عن فريسة ليلتهمها عن بكرة أبيها , أما الفريسة فقد جاءته بمحض إرادتها وأغلقت الباب وراءها وتركت له المِفتاح ..

# ليس على الذئاب حرج إذا كنا دُمْلازًا

غاصت نظراته لعمق روحها فسار الخدر يحتل كل خلايا جسدها , تلمس بيده الناعمة خدها الرقيق الذي طاله بعض الجفاف بفعل الدموع .. صعدت أصابعه برفق فوق شفتها السفلى وكأنه يحرضها على المزيد من الصمت والخضوع , كان كلاهما مسلوبين بحالة شَبِقة اختزنها لفترة طويلة تصرخ بداخله دون مجيب , ارتمت داخل صدره الرحب فأخذ يقبل جبينها بحنان , كانت هذه العلامة مطمئنة لروحها التائهة حيث شعرتْ معها بالاحتواء الكامل بلا أدنى شك في وجود رغبة جسدية حيوانية , مع أن هذه الحالة تحولت بعدها , كان تحولها مقبول .. ضم قبضته يعتصر كتفيها بقوة ثم اجتذبها لتغوص أكثر داخل ضلوعه , كان يلتصقان كلاهما متشبثًا بالآخر حتى ذاب جسديهما وامتزجا , كان من الصعب التوقف عند هذا الحد , انهال على وجهها ورقبتها بالقبل بلا هوادة , كانت تستنشق زفيره فتشعر بالحياة تسكنها من جديد ودموعها تترقرق من سعادتها الغامرة , تتلمس بشفتيها الرقيقتين خده لتقبله , دارت الجدران بهما وأخذتهما في دوامة إعصار الشوق خارج حدود الزمان والمكان , لم يدركا ما الذي فعلاه خلال ثمان ساعات متواصلة حين عادا للوجود منهكان النبض ,..

كانا يشعران بدوار لذيذ وغابة من الطيور الجارحة تنعق في جوفهم , أكلا التورتة معًا من شدة الجوع بلا أطباق , يقطع بيده قطعة صغيرة

يضعها بفمها ثم يعود ليلتهما ويلتهم معها شفتيها ... غاصا مجددًا في نوبة غيبوبة عشقٍ , لم ينتبها لهواتفهما التي امتلأتا بالرسائل والمكالمات التي لم يرد عليها , أغلقوها تمامًا معلنين عن عدم وجودهما بحيز الكون الفعلي .

فاقت من خدرها لتغادر بيته على عجل , كان الليل قد جثم بثقل ظلامه على معالم الشارع , أخذت الكتب من فوق الطاولة ورحلت على عجل .. كانت فريدة أول من اختبر عليهم سحره الجديد وليست الأخيرة .. أم أن حبها له هو ما دفعها للرضوخ لرغباته !

# مرحلة اكتمال الوحش

٢٠١٣/١١/١٧

سقوط طائرة ركاب فوق جليد نهر نيفا أسفرت عن موت كل من كانوا على متن الطائرة ..

قبلها بعدة أشهر في فبراير ٢٠١٣ سقط نيزك في مقاطعة تشيليابنسك الروسية , يقدر وزنه بعدة أطنان , أكدت وكالة الأنباء أن النيزك المكون من الحديد والنِّيْكل تهدم في الغلاف الجوي وسقطت شظاياه على الأرض مسببة دمارًا .

لم تكن حوادث من قبيل المصادفة، بل جزء من تضامن الكون مع الخُطَّة , كان تضامن الكون مرهون بتعاويذ أخرى تتلوها ماريا .. هذه الارتطامات التي أحدثت شرخًا عميقًا في مسطح كتلة الثلج التي تغلف نهر نيفا الواقع على بعد مسافة لا تقل عن ٢٠٠٠ كم من نهر مياس وبحساب المدة الزمنية اللازمة لصعود الجسد القابع تحت الثلج من فبراير إلى ديسمبر كان لابد من إحداث صدع جديد بتلك الحادثة الأخرى ..

انتقال الروح لم يكن أمرًا سهلًا على الإطلاق فهناك روحين الآن عالقتين في مكان ما، كل منهما تطوق للقاء الأخرى فاقدة القدرة على الاستقرار .. ستقف ماريا فوق الجسر الذي وقف فوقه القتلة منذ سبعة وتسعين عامًا وألقوا بجثة الجد الأعظم , وستغمر الدمية بعد أن تزرع بداخلها الفص الأسود بماء النهر المثلج المتصدع سطحه بعدما تربطها بحبل دقيق , ثم تختلط الأنفاس المنقولة بجسد الدمية وتلتقط روح الوحش من قعر النهر ثم تعود إلى سيف ليبتلع الجوهرة , الجوهر , الروح , روح الوحش .

# إبطال السحر

في اليوم التالي بعد نوم عميق نظرت فريدة إلى الطاولة التي ألقت فوقها الكتب , لاحظت وجود دفتر أحمر غريب .. تأملت الدفتر في صمت , فكرت قليلًا , من المؤكد أنه لسيف , بلا تردد كانت ستعيده دون أن تعبث به , لكن الفضول يقودها مجددًا , فتحت الدفتر تستطلع ما كُتب فيه , لكنها لم تفهم شيئًا , كانت الكلمات مكتوبة بلغة غريبة مختلطة بالإنجليزية , في البداءة وجدت كلمات عُرفت فيما بعد أنها بالروسية , ما أثار الشك حقًا صفحات الدفتر التالية التي خطت بداخلها رسومات تشبه خرائط التعويذات التي رأتها على مواقع الإنترنت , حيث مواقع القراءة التي يتخللها بعض الشباب النهم لمعرفة ما يدور وراء الطبيعة واهتمامهم بكتب الخيال وغيرها من الكتب المثيرة للجدل والتي تتكلم عن السحر.. هم لم يفهموا منها حرفًا، بل كانت الخرائط كفيلة بإثارة رعبهم من مجرد ذكر اسم الكتاب أو ما يتداوله بعض الأفراد حول شائعات إصابة كل من قرأه باللعنات !! فماذا تعني تلك الخرائط التي هي الآن بين يديها حقيقة!!

معرفتها السابقة بظهور ماريا المفاجئ في حياة سيف وفضولها بمعرفة ما يحويه الدفتر الأحمر الغريب جعلها تشك بأن هناك أمرًا ما يدبر ضد سيف دون علمه من جانب تلك المرأة الغريبة , حملت حالها والدفتر دون تفكير تسأل والدتها عن جارتهم بالحي القديم , تسألها عن أي معلومات عنها وكيف تصل إليها ؟, هل مازالت على قيد الحياة تمارس ما اعتادت على ممارسته من طقوس غريبة ومزعجة ؟ ... تعجبت والدتها من سؤالها وتذكرت كيف تدخلت جارتهم هذه حين تقدم زوج فريدة لخطبتها وقالت لها بأن والدة العريس عقدت ابنتك بعمل ما وبدونه لم تكن لتوافق على تلك الزيجة !! لطالما كرهتها وكرهت ما كانت تفعله

وتسببه لهم من إزعاج بدق الزار خاصة في أوقات الامتحانات , أكدت لها والدتها بأن جارتهم القديمة ما زالت تسكن نفس الشقة , فحملت حالها على عجل وخرجت دون أن تَنْبِس أو تستمع لمزيد من الاستفسارات من والدتها , ذهبت مباشرة إلى حيُّهم القديم , طرقت باب الجارة بالدور الأرضي في نفس البناية التي كانت تسكنها , أجابت «الست بدرية» طرقاتها بعد فترة تمالكت فيها فريدة أعصابها بصعوبة , حين فتحت لها الباب ارتسمت فوق ملامحها علامات الدهشة وحدقت بوجهها كأنها تحاول أن تتذكرها .. حوْقلتْ وبسملتْ كعادتها قبل أن تنطق كأنها رأت شبح ما :

- فريدة ...
- مساء الخير يا ست بدرية.
- مساء النور يا ابنتي , تفضَّلي.
- جئت أقصدكِ في سؤال ما.
- خيرًا إن شاء الله ... !
- إن شاء الله خيرًا .. أردت عنوان الدَّجَّالة التي تدق لكِ الزار ... أرجوكِ فالأمر في غاية الأهمية ..
- استغفر الله العظيم , بسم الله الرحمن الرحيم : أشتاتًا , أشتوت» سامحيها يا طاهرة سامحيها جاهلة وغشيمة ما تدرك شيئًا.
- أرجوكِ , كفى أريد عنوان الشيخة الطاهرة هذه فقط ..
- خيرًا يا ابنتي خيرًا , الشيخة رؤية المبروكة في أيديها الشفاء بإذن الله ...

بدأت الست بدرية بوصف عنوان الشيخة رؤية وهي تسجله بدقة في

ذاكرتها ثم أردفت

- ربنا يزيح عنكِ وعن كل الولايا يا أُختي .

ثم مصمصت شفتيها مُصدرة صوتًا وتمتمت ببعض الجمل الاستنكارية التي لم تنتظر فريدة لتسمعها , حملت حالها ورحلت دون أن تلتفت لها , كان الوقت ظُهرًا فتوجهت مباشرة للعنوان الذي انتزعته من الست بدرية بصعوبة , وبعد معاناة بين الأزقة والحارات الضيقة وصلت للعنوان المنشود , دقت الباب فلم يجِبها أحدًا , انتظرت قليلًا ثم عاودت القرع على الباب بحّدة , فجاء صوت خافت من الداخل يرد بحذر ..

- مَن ؟.
- الشيخة رؤية موجودة ؟.
- من أنتِ ؟ رد الصوت الخافت من الداخل بتوجس شديد.
- أنا فريدة أريد مقابلتها لأمر مُهم ,, أنا جارة الست بدرية وهي من أرسلتني إلى هذا العنوان ...

لولا عبارتها الأخيرة لما فُتح لها الباب , وبعد أسئلة كثيرة من امرأة يبدو أنها الخادمة أو وكيلة أعمال الشيخة المبروكة , تركتها تنتظر قليلًا إلى أن تأذن لها الشيخة رؤية بالدخول ...

حجرة تختلف تمامًا عن باقي المنزل وكأنها قطعة من مكان آخر , إضاءة خافتة جدًّا في حين لا يوجد ثمة نافذة لتسرِّب القليل من ضوء الشمس , جدران تمتلئ بجلود الحيوانات ورؤوسها من أشكالٍ وأنواعٍ مختلفة تثير الرعب والاشمئزاز ... يغلب على أثاث الغرفة طابع بسيط نسبيًّا فكل ما تحتويه الغرفة من أثاث عبارة عن ثلاث أرائك خشبية متراصة بشكل نصف

دائرة مغطاة بنسيج يدويٍّ مصنوع من بقايا الأقمشة والأرض مغطاة تمامًا بجلد الماعز يتوسط الغرفة مِبخَرة ضخمة كالتي نراها في الأفلام ويتربع خلفها في منتصف الأرائك الثلاث امرأة بَدينة إلى حدٍّ ما ترتدي عباءة سوداء فضفاضة مُزرْكشة بخيوط من نفس اللون , تقْمِط رأسها بطرحة من نفس اللون أيضًا تاركةً أطرافها الطويلة تتدلى خلفها , قرطان ذهبيان يتدليان من أذنيها ليعوضا نحافة وجهها الطويل ذي العينين الحادتين المُكحلتين بعناية , ودقّ الوشم فوق ذقنها أكسبها المزيد من الغموض والرهبة , صدر عباءتها العاري يختفي أسفل الكردان الذهبي الكبير الذي غطى صدرها العارم , حركت يديها لتصدر جَلْجلة بصف الأساور الذهبية التي تملأ ذراعيها بصوت أثار القشعرة بجسد فريدة مشيرةً إليها بالجلوس عن يمينها , كل هذا لقطته فريدة في صورة ضبابية تختفي خلف بخور المِبخَرة الضخمة , تقدمت فريدة بحذر وجلست إلى طرف الأريكة حيث أشارت لها .. كانت تجلس مرتعبة تحتضن دفترها فوق صدرها وتنظر إلى جانب بعيد تختلس النظرات بطرف عينها لحركات يد الشيخة رؤية المَبروكة ! لاحظت حركة يدها اليسرى المتوترة وهي تحرك المِسْبحة الكَهرمانيّة ذات الحبَّات الأربع والأربعين يلمعن بشكل عجيب لم ترَه فريدة من قبل وكأن كل حبّة احتوت بداخلها على نجم صغير يناسب حجمها ... كانت المِسْبحة لافِتة للنظر بقدر أن اعتدلت فريدة موجهة رأسها وكامل انتباهها نحو العجوز البدينة المتربعة فوق الأريكة التي بدأت في إلقاء البخور في النار بيدها اليمنى لتتزايد أمامها سحابة من الدخان المُعطِّر تغشِّي النظر عنها مما زاد من انتباه فريدة لتدقق في تفاصيل ما يحدث أمامها , كانت تُتمتم بكلمات غير مسموعة بوضوح , تحرك شفتيها مغمضة العينين وتحرّك المِسْبحة بتوتر بالغ , ثم اتسعت عيناها فجأة ونظرت مباشرة بعمق إلى عين فريدة، ونطقت بصوت محشرج غليظ آمرة

- فريدة يا بنت صوفيا , هاتي الدفتر .

اتسعت عيناها بشدة في ذهول ووقفت بقدمين مرتجفتين وناولتها الدفتر كيف عرفتْ اسم والدتها الحقيقي ؟ ,عادت لجلستها ثم هدأت قليلًا حين تذكرت الأسئلة التي طُرحت عليها بالخارج , ربما عرفت اسمها واسم والدتها من الخادمة ! هذه لُعبة المشعوذين ..لكن هل قالت للخادمة اسم أمها الحقيقي ؟

- تريدين تفسير الطَّلْسَم ..
- .....
- الأمر أكبر مني ومنكِ .
- كيف ؟.

دسَّت الشيخة رؤية مِسْبحتها بصدرها وأخذت تتلمس الدفتر من الخارج.

- الطَّلْسَم خاص بتحضير روح الوحش , أخبريني كيف وصل لديكِ ؟.
- هو لشخص يهمني أمره ...
- ابتعدي عنه ...
- لا، يمكن ..
- ابتعدي ...
- .....
- الشخص الذي يهمك أمره لم يعد له وجود .. أصبح مجرد قالب ليحضر الوحش بجسده ! أصبح شرًّا .. شرًّا لا يمكن إيقافه !
- شرّ !!
- شرّ على جميع بني البشر , خراب وعاد ليحل بيننا , ساحر من

زمن بعيد كان أقوى السحرة في عصره , كان يمتلك روح الوحش , ويصنع عجائب , بعد اغتياله ظلت روح الوحش عالقة تنتظر الحضور من جديد ...

- وكيف يمكننا إيقاف مفعول الطَّلْسَم !

- .....

- لابد من حل , مؤكد أنكِ تعرفين الحل .. أرجوكِ .

- ابتعدي

- لا يُمكِنُني الابتعاد .

- قلت لكِ , لقد انتهى أمر الشخص الذي تبحثين عنه .

- أرجوكِ ساعديني .

- فلنتفق على أن تساعديني أنتِ للقضاء عليه .

- وسيف !!

- سيف يعتبر ميت بالفعل منذ أن بدأت طقوس تلاوة الطَّلْسَم , سيف انتهى ...

- .....

- لو وافقتي على عقد اتفاق معي , سأدلكِ على طريقة إبطال مفعول الطَّلْسَم , في كل الأحوال ستفقدين سيف إلى الأبد , سيف الآن روحه عالقة سجينة في بعد آخر لا يمكن تحريرها , الحل الوحيد هو التخلص من الجسد لإبطال إحضار روح الوحش به .. وهو في حد ذاته انتقام لكِ !

بعد دقائق من البكاء توصلت المرأتان لاتفاق على موعد لإنهاء كل شيء .. غادرت و الدموع تغطي وجهها مع حالة من الذهول وغُصَّة كمن غادرها حبيبها بعد وجبة عشق دسمة , هو على كل حال لم يكن لها وهي لم تمتلكه أبدًا ...

# إبطال الطَّلْسَم ..

اتصلت به فجاءها صوته واثقًا ..

«اشتقت إليكِ حلوتي , هلا التقينا الليلة ؟ سأكون بانتظاركِ «
ردت عليه مترددة «اشتقت لجسدي !!! « لكنها سمعت طنين الهاتف , أُغلق الخط ! هل غضب من كلماتها أم أنه لم ينتظر ليسمعها !! .....
هكذا هم الرجال دائمًا يتركهن في حيرة وعذاب أبدي .. يفصلون المواقف كما يحلو لهم ويناسب أمزجتهم ومواقيتهم دون أن يأبهوا لهن , لابد للأنثى أن تضبط ساعتها على مواقيت رجل واحد أم هو فينظم الجدول كما يحلو له .

ظلت في حيرتها مترددة هل ستذهب له ! هل تترك قلبها يقودها مجددًا لنَوْبة عشق محكوم عليها بالإعدام مسبقًا ! أم ترفض عرضه وتسمح لصوت عقلها أن يقودها في الطريق الصحيح ؟ أم أنه غاضب منها بعد كلماتها الجارحة ولن يستقبلها لو أتت !.

الفضول .. الفضول هو المحرك الرئيسي للمرأة ... دفعها فضولها لأن تظل مغروسة كشجرة البلُّوط بشُرفتها تنتظر بزوغ قمرها .. حين رأته آتٍ من بعيد لم تترك فرصة لعقلها ليُملي عليها خطواتها .. انتزعت جُذورها وهبطت مهرولة لشقته , قرعت الجرس ففتح لها على الفور , كان مازال يرتدي ملابسه عدا أنه خلع المِعْطف الجلد عنه , طوقها من خصرها وجذبها بقوة للداخل وأخذ يقبلها بلا أية مقدمات حتى غاصت بين ضلوعه مستسلمة , سحب عقلها , لم يعد هناك مجال لإعماله , جسد المرأة ضعيف أمام الزلزلات الرومانسية , ينهار سريعًا ولم يبقَ منه سوى الرجفة ... اجتاحها كإعصار يعصف بقارب صغير في عرض البحر الهائج

بلا مِجداف .. بدأ عقلها يعود لعمله بوهن في اللحظات الأخيرة حينها توقف فجأة يرشقها بالضوء المنبعث من عينيه فعادت إلى الخدر .. لكنه زهدها في تلك اللحظة وتركها للنار تلتهمها بسرعة ككوْمة قشٍّ بعد أن قرأ بداخلها الخُطَّة , قامت تلملم كيانها المبعثر باكية لكنه لم يأبه لبكائها , تركها تغادر بخيبتها وانكسارها , في الواقع كان بكائها على أشياء كثيرة عدا تلك اللحظة , كانت تبكي نفسها , تبكي ظروفها , تبكي ضعفها , تبكي سيف الذي رحل ولم يبق منه سوى هذا الوحش النَّهِم ..

كانت قد تأكدت تمامًا بعد هذا اللقاء أن هذا الجسد لم يعد لسيف الذي أحبته , وقررت أن تتمِّم اتِّفاقها مع الشيخة رؤية وتشارك في إبطال مفعول الطِّلَسَم مهما كلف الأمر .. أخذ الصداع يتصاعد لرأسها كأنه أصابها بلعنة . ..! اغتسلت من كآبتها وعارها , كانت تفرُك خلايا جلدها بعنف كأنها تريد انتزاع لمساته من فوقه .. جلست أمام الحاسوب لتتأكد مما جاءت به العرَّافة العجوز , كتبت الاسم المكتوب بحروف واضحة داخل الدفتر الأحمر فظهرت لها صورة الراهب الأسود وكل المعلومات المتاحة عنه , قرأتها بنَهم وتأملت هل يعقل هذا ! تذكرت ما قصَّه عليها من عودة ماريا وأنها تدعي أنها أمه الحقيقية ! إذن هكذا يمكن أن نرتب الأحداث بشكل أوقع , فماريا هي التي أعدت تلك الطقوس وقد أتت لاستحضار جدها ! حتى الشبه الواضح بين ملامح هذا الراهب وملامح سيف ... ربطت كل الخيوط ببعضها ونسجت قماش منسجم لتلك القصة العجيبة , في اليوم التالي ذهبت في الموعد المحدد لمنزل الشيخة رؤية محملة بكل المعلومات التي جمعتها ..

٢٠١٣/١٢/١٣

منزل الشيخة رؤية ...

لم تكن المعلومات التي جمعتها من صفحات البحث بها أي شيء يثير دهشة الشيخة رؤية ..، بل جاءت أقل مما عرفته هي بمجرد لمسها للدفتر الأحمر بيدها في اللقاء الأول .. لبعض أولئك المشعوذين اتصالات خارقة بعالم الجن والأرواح تأتي بعقد صفقات بينهم وبين ملوك الجنّ, صفقات يشوبها الكفر تنص على تقديم أُضحيَّات من النفوس مقابل تسخير بعض خدام الجن لتلبية طلباته , مثلما حدث يوم أمسكت الدفتر وعرفت محتواه حيث أخبرها الجن بالقصة كاملة حتى ما لا يعرفه سيف وماريا أنفسهم من خبايا في تلك القصة بقي أن تخبر فريدة بطريقة إبطال الطِّلْسَم بعدما عقدت صفقة جديدة مع ملك من ملوك الجان كي يعيد روح الوحش إلى المتاهة، ولكي يسجن في زمنٍ آخر؛ كان لابد من تقديم ضحية بشرية , يقبض الجن روحها مقابل مساعدتها في سجن روح الوحش.. فلتكن فريدة ..!!.

وطبعًا لم تصرح لها الشيخة رؤية عن نواياها في جعل روحها ضحية للجن الذي سيساعدها للتخلص من روح الوحش الذي إذا اكتمل تجسده سيودي بها هي شخصيًّا إلى الهلاك حيث أن وجوده يعني السيطرة الكاملة على عقول البشر بسحره الذي هو أقوى بكثير من قدراتها , وإذا تخلصت منه ستزداد قدراتها السحرية مما سيجعلها هي في صدارة أهل السحر وتتفوق عليهم ..

لم يتطلب الأمر منها سوى إقناع فريدة بإحداث جرح بسيط بإبهامها. نزفت منه بضع قطرات من الدم بصعوبة بعد أن استمرت الشيخة رؤية بالضغط على إبهامها لتنزف المزيد , جمعت القطرات في كأس فضي فخرج من داخله دخان كثيف لا تعلم مصدره , تعجبت فريدة من كم الدخان

المُتصاعد من الكأس فهي لم تكن تعلم ما أعدته الشيخة رؤية مسبقًا بداخله .. ربما دماء أنثى عقرب عاقر أو أقدام ضفدع الماء الأخضر اليتيم أو مِنقار عقاب صحراوي أعور !! .. أفرغت المحتوى بزجاجة خضراء صغيرة فحال لون زجاجها للبني .. ثم بدأت في تلاوة التعليمات ...

- **بعد ثلاث أيام بالتمام ...**

**تخرجين معه لنزهة فوق النيل ...**

**غافليه واشربي الزجاجة قبل التقبيل ...**

**سيسري المُخدِّر فيه ويكون الدليل ...**

**أن يتوقف عن الحركة والكلام ...**

**اربطي بقدميه حجر ثقيل ...**

**واتركيه ليغرق في النهر بسلام ...**

**سيقبض الجن روحه ويرقد الجسد حطام ...**

**احذري يا فريدة يابنت صفاء ..**

**من اقتراف الأخطاء ...**

**الأمر في غاية الخطر ...**

**أي خطأ تقترفي ...**

**سيحال عودك إلى حجر...**

**هيا .. انصرفي ..**

**انصرفي ..**

حملت حالها والزجاجة وهي في غاية الرعب من كلمات الشيخة رؤية التي قالتها بصوت فحيح غليظ كأنه يخرج من حنجرة أخرى غير حنجرتها .. قبضت كفها فوق الزجاجة وعادت إلى المنزل تحاول إعداد خُطَّة خاصة بها لتنفيذ تعليمات طقوس إبطال الطَّلْسَم ...

لكن كيف ستفعل به كل هذا وهي ما زالت تحبه بجنون !!

# رسائل لن تصل

لم تكف فريدة عن الانشغال بسيف الذي افتقدته وفقدته .. كانت تجلس أمام المكتب بالساعات تقرأ عن جده بالحاسوب وتكتب في رسائل وتحتفظ بها وهي تعلم أن لا أحد سيقرأها يومًا ما ..

أتقوقع على ذاتي .. أنفيها بين الجدران الخربة .. أخشى الخروج من قلب أصداف قوقعتي فاصطدم بالبشر وقد نبتت لهم قرون صغيرة فوق رؤوسهم !!.

***

دمرت القلب وعزلت التاريخ الرحب بزنزانة الكلمة البشعة بحروفها الأربع , صدقت الزيف اللامع أسفل طين الروح واستخرجته فاتسخت قُفَّازات العمل البيضاء وصارت كرخام القصر الرملي ببواباته القصيرة , حين أحنيت هامَتي لأدلف لم تستعب فانهدم السقف على رأسكَ و رأسي المتوج لأنكَ لم تنتظر حتى انزع زينتي قبل الدخول .. بذهول انتشلت جثمانكَ من بين الرمل واعطيتكَ قُبلة الحياة فرمَشْتَ بعينيكَ قبل أن تتقيأ النار بوجهي، وتبصق ذيل فستان قديم علق بحنجرتكَ أثناء الطهي بالأمعاء , كنتَ تبلعهن أحياء !.

***

كنتُ استنشق معدن الهاتف فوجدته امتلأ عن آخره بالأنفاس .. لهْثَتي ولهْثَتكَ مُختلطتان .. لكن شاشته ماعادت تُضيء في الليل ولا بالنهار باتت مُظلمة .. َفقتُ يومًا على اهْتزازه فوجدت ظلامه الدامس يزداد سوءًا وأدركت جسدي الذي يرتجف على ألحان صوت الآت من عمق الذاكرة .. بعدما كان ملاذًا لنوم هادئ فوق سقف ضلوعكَ أصبح التأنيب

الذي يذهب النوم المتوتر من بين جفوني فيشقّها نصفين .. نصف تعلّق بالسماء يستجدي، والآخر غارق في بئرِ دمعٍ عميق .. كانت الندبة فوق أرْنبة أنفكَ قُبلتي التي لم تستلمها .. وقرصة الأذن اليسرى عهر لا طهر .. لم أكن أُفتّش بهما عن الشمع الأحمر .. لكنكَ أنجبته وزرعت له الفتيل الذي اقتصصته من خيط الوصال الأخير حين جذبته عن آخره فانقطع .. وأضرمت النار به قبل أن ترحل لتتأكد من إحراق آخر فراشة أمل هاربة من نار مَوقدكَ ..

***

أكرهكَ بشدة .. فأنام مُتّكئة فوق صدركَ العاري كل ليلة , أحضنكَ وأغرقه بدموع من عينيَّ .. عين تقطر ماء نار والأخرى جير حي .. وفي الصباح أجد بركة من سائل متحلل وقد تلاشى كيانكَ تمامًا .. لأني أكرهكَ أكرهكَ بشدة سأفعل هذا كل ليلة .. كل ليلة .. إلى أن أتلاشى أنا أيضًا ونندمج !.

***

بالله عليكَ , كُن بخير

كُن إنسان

ذاك الإنسان الذي أحببته

تخلص من طبيعتك الوحشية

التي جعلتني يوم أدركتها أرحل

كُن كما كنتَ أظنكَ

واغفر لي

فإن بعض الظن إثم !.

ماريا

## ٢٠١٣/١٢/١٦

جهزت ماريا كل شيء حتى تذكرة العودة إلى مصر حجزتها لتغادر من مطار سان بطرسبرج في تمام السابعة مساءً , فوق جسر نهر نيفا تدلت يدها بالحبل الذي يحمل الدمية المتشربة بدماء سيف في مياة النهر بعد أن غرست بجوفها الحجر الأسود وخاطت فوقه جيدًا , كانت تربط الدمية من قدميها بحبل رفيع محكم الربط , تركت الدمية تغوص في مياة النهر إلى أن انتفض الماء محدثًا شرخ طويل بكتلة الثلج المتجمدة على سطحه , صعد الماء لأعلى كنافورة أغرقت وجهها وارتفعت معه الدمية لفوق فسحبت الحبل بسرعة لتلتقط الدمية التي بدت لها تتحرك بالفعل وكأن حياة ما دبت بداخلها , أعادتها سريعًا بداخل الصندوق بجوار الخنجر الذهبي المنقوش , غادرت النهر من فورها لتلحق بالطائرة , بمجرد وصولها أرض المطار استقلت سيارة أجرة لتقلها إلى منزل سيف , لا وقت لديهما ليضيعاه هباءً , وصلت في الوقت المناسب كان سيف بانتظارها , أخرجت الدمية من محبسها وغرست الخنجر بقلبها لتفتك بالخيط فسالت منها دماء كثيرة تفوق حجمها , جمعتها بكأس وانتزعت الفص الأسود بطرف الخنجر ووضعته مباشرة فوق لسان سيف الذي كان وقتها مستسلمًا تمامًا لإتمام الطقوس , تصاعد دخان من جوفه كأن بالفص الأسود جمر نار يلتهم لسانه , ناولته كأس الدماء ليبتلعه سريعًا فانطلق الضوء ذاته من جميع خلايا جسده وليس من عينيه فقط , استوحش مظهره لدقائق قبل أن يعود لطبيعته ...

انسحبت ماريا بعد أن قبلته قبلة طويلة في فمه .. أما سيف فبدأ يشعر بالقوة الخارقة التي اجتاحته ...

# فريدة

على مدار ثلاثة أيام تحاول مهاتفته فلا يرد عليها , تكتب في رسائلها وتبكي وتتأكد أنها فقدته إلى الأبد , تزداد بداخلها الرغبة في الانتقام من هذا الذي حلَّ فيه , حتى أنها بدأت تفقد الثقة في قدرتها على إتمام طقوس إبطال الطَّلْسَم , أسقط في يدها وانتابها اليأس ....

لكنها شعرت بالقوة الانتقامية تصرخ بداخلها .. تبدل كل الحب إلى كره شديد , تجاهله لها كسر كبرياءها بشكل جعلها تفكر بالانتقام مهما كلفها من ثمن , أخيرًا نبتت للقطة مخالب وأنياب , وبعد تفكير توصلت لحل وسط , لم تجد أمامها سوى الاتصال بإحدى فتيات (الكومبارس) التي كانت تلتقيهن أثناء تجارب الآداء التي اجتازتها في العديد من مكاتب التصوير دون جدوى , «سلمى» فتاة جميلة أصغر سنًا منها بقليل ملامحها جذابة رقيقة , تبادلتا أرقام هواتفهما بعدما تكرر اللقاء بينهما عدة مرات في تجارب الآداء التي باءت جميعها بالفشل , على وعد أن تساعد كل منهما الأخرى إذا ما ضحك لها الحظ يومًا وحصلت على دور كبير , هاتفتْها وأقْنعتْها بأن هناك دور مناسب جدًا لها، وأنها لم تجد أنسب منها لترشيحه للقيام بهذا الدور وخاصة أن الأجر مُغْرٍ ! أقنعتْها أن (الكاميرات) ستصور المشهد من مكان خفي لأن المشهد جزء من فيلم واقعي أشبه بالأفلام الوثائقية , أملت عليها العنوان وأخبرتها بأنها لابد أن تأتي فورًا وأن ترتدي للمشهد ملابس بسيطة و جذابة .. لم تشك سلمى في شيء على الإطلاق , حملت حالها في غضون ساعتين كانت أمام منزلها متلهفة للدور الذي ستؤديه أمام شخصية عامة ومعروفة كما أخبرتها , رحبت بها وجلست تشرح لها التفاصيل ,

- أولًا لابد أن تعترضي طريق «سيف « الداعية المعروف , أكيد

سمعتي عنه ..بشكل عفوي ثم تمثلي ارتباككِ أمامه وتتصنعي أن دُوارًا أصابكِ , سيعرض عليكِ مساعدته , حينها ستطلبي منه أن يصحبكِ لأقرب مكان مُطلًا على هواء النيل بالشارع القريب من بيته لأنكِ تشعرين باختناق شديد ورغبة عنيفة في البكاء , ثم تُشْغله وتشربي محتوى الزجاجة (أخرجت الزجاجة الصغيرة ودستها بكفها وطبقته فوقها ) , حالما وصلتما فوق الجسر يكفي أن تنظري بعمق في عينيه وسيتكفل هو بالباقي .. سيقبلكِ !.

- .....
- ماذا ؟.
- لا شيء فقط أُرتِّب أفكاري ..
- سأكون بجوارِكِ أراقب المشهد من بعيد
- لكن !!
- لكن ماذا !! مشهد صغير وبسيط والمبلغ معقول .
- .....
- المهم ألا تنسي شيئًا مما قلته لكِ , لا مجال للأخطاء أو لإعادة التصوير ...

وافقت سلمى بعد إلحاح فريدة , أعطتها مبلغ من المال كعُرْبون ووعدتها بالمزيد عند انتهاء تصوير المشهد , بعدها ظلتا يراقبان المشهد من شرفة المنزل في انتظار ظهور البطل .. عدلت من هيئتها سريعًا وجاءت ساعة الصفر: (كلاكيت ستاند باي ابتدي)

- هيا .. لا تنسي ما قلته .. لا مجال للأخطاء .. لا تنسي أن تُشْغله وتشربي محتوى الزجاجة .. إياكِ أن يلحظ ذلك ..! هيا ..هيا ..

وقفت تراقب المشهد من خلف بوابة البِناية .. تقدمت سلمى من سيف مسرعة تتصنع أن دُوارًا أصابها ثم اصطدمت بكتفه العريض وكأنها على وشك السقوط .. همّ الشاب الشهم بسندها , كان يوم ممطرًا ويداها باردتان فاحتضن كفيها وسألها:

- هل أنتِ بخير ؟.

تصنعت الدوار مجددًا وأجابت

- أشعر بالاختناق أريد أن استنشق هواء النيل .. أشكركَ سأكون بخير ...

قالت جملتها وهي تنظر له بعين مُسبِّلةٍ.. يالها من ممثلة عظيمة , لقد ترقرقت من عينها اليمنى دمعة سالت بنعومة فوق خدها المُتورِّد من برودة الجو ... ممتاز !.

حينها رفعت وجهها نحوه فغرق بعينيها الواسعتين , لقد أوقعته في الفخ بجدارة , مع إحساسه بقدراته التنبُّؤية أن أمرًا ما يُحاك له في الظلام إلا أنه قرر ألا يتركها .. كيف يترك هذا الجمال البريء الباكي !!.. كأنه يكرر نفس الخطأ الذي ارتكبه جده منذ سبعة وتسعين عامًا !!.

تماسكت جيدًا بيده كأنها تريد الابتعاد لكن الدُّوار يعاودها فلا تستطيع التخلي عن قبضته .. وقتها لم يعد هناك مجال للتفكير , سبقته الكلمات فوق شفاه ..

- هل تمانعين لو انضممت إليكِ ؟.

تراقص قلبها من الداخل , لقد نجحت , نجحت في تجسيد الشخصية ببراعة , أخفت فرحتها وراء ابتسامة مُقْتضبة شاحبة، وهزة خفيفة من رأسها تعلن له عن موافقتها ..

تمشيا قليلًا وذراعه يطوقها خوفًا عليها من السقوط , كانت تجرجر قدميها وكأن قدميها لا تقويان على حملها , وأثناء انشغاله بمتابعة حركة السيارات ليعبرا الطريق؛ شربتْ محتوى القارورة الصغيرة التي دستها فريدة بكفها وأخفتها هي بجيب المِعْطف الأحمر ... حالما وصلا فوق الجسر لم تفعل شيئًا سوى أنها نظرت لعينيه بعمق تمامًا كما أملت عليها فريدة المشهد .. كانت فريدة تتبعهما على بعد خطوات دون أن يلحظها سيف تراقب الحدث خطوة بخطوة .. اطمأنت حين لاحظت من بعيد اقتراب سيف لسلمى إلى أن بدأ بالتهام شفتيها ..

نجحت الخطة ... نجحت الخطة ...

كان بودِّها لو تصرخ في المارة بصوت عالٍ نجحـــــــــــــت الخطة ... لكن قلبها كان يبكي , كيف تتحمل المشهد وحبيبها يضم أخرى إلى أحضانه حتى وإن كانت هي من دبر كل شيء !!

بدأ مفعول المُخدِّر يسري في جسد سيف ولم يعد يفرق بين وجه فريدة من وجه سلمى , وقتها اقتربت فريدة منهما مبتسمة في وجه سلمى:

- ممتاز .... ممتاز يا سلمى ممتاز جدًّا .. لقد أديتِ الدور ببراعة ... يمكنكِ الآن أن تسبقيني إلى البيت وسألحقك بكِ بعد وقت قصير.

قبلتها وودعتها بعد التهنئة .. لم يكن سيف يدرك ما يحدث أمامه .. لم تكن فريدة تعلم بما سيحدث لسلمى .. !! لم تكن سلمى تعلم أنها بمجرد عبورها الطريق سينتهي كل شيء ..!!.

تعالت الصرخات بالشارع بعد صوت ارتطام عنيف .. سيف مازال لا يدرك شيئًا مما يَحيط به ... لكن فريدة أدركت كل شيء .. أدركت حين رأت

سحابة الدخان تتمثل فوق جثة سلمى المسجية فوق الطريق على شكل وحش يقبض روحها , لم يكن هذا اتفاقها مع الشيخة رؤية , لقد أخفت عنها الحقيقة , لقد باعتها وعقد الصفقة مع الجن على روحها ... في لحظة تفحمت جثة سلمى مع ذهول وصمت من كل من أحاط بمكان الحادث, فالسائل الذي شربته كان مُعدًا بدماء فريدة !!!

وقفت فريدة مَشْدوهة تحول نظراتها بين جُثة سلمى المتفحمة و وجه سيف الذي يفتقد التعبير , كان ينظر إلى ماء النهر الجاري أسفل الجسر , تدلى بنصف جسده للأسفل يمد يده نحو السراب كأنه يريد الإمساك بشيء يسقط في الماء , عيناه متسعتان بذهول , ثم أفلتت يده من فوق سور الجسر المُندَّى بقطرات المطر ليسقط في الماء فاغرًا فاه ومازال يمد يده يحاول التمسك بقشَّة تُنجده , أحدث سقوطه صوت ارتطام بسطح الماء ثم غاص في قعر النهر لينفجر بنافورة ماء إلى الأعلى بللت فريدة من رأسها حتى أخْمص قدميها ..أحست وقتها بالغثيان .. أفرغت فريدة أمعاءها فوق الجسر , لم تحتمل المشهد , انتهى كل شيء , انتهت سلمى , انتهى سيف , انتهى حُبُّها , انتهت معه خطيئتها وثأرت لكبريائها الجريح !.

لكن حالة الغثيان لم تنتهِ مع هذا المشهد , استمرت لعدة أشهر متلاحقة.. وكذلك خطيئتها التي تنمو بأحشائها !!.

***

**فريدة بنت صوفيا الروسية !.**

..... تمت .....

ωδέ η σοφία εστίν; ο έχων νουν ψηφισάτω
τον αριθμόν του θηρίου; αριθμός γαρ
ανθρώπου εστί; και ο αριθμός αυτού χξς

هُنا الحكمة ! مَن لهُ فَهم فليحسبْ عددَ الوحش . فإنَّهُ عدد
إنسانٍ وعدده : سِتّمائة وستة وستون

تصميم الغلاف : أسامة علام

الحلم للنشر والتوزيع